

العمل أثره وجزاؤه في الفرد والمجتمع

دراسة قرآنية

م . رزاق مهدي حمادي السعدي
مديرية تربية كربلاء

Work has its impact and reward on the individual
and society - Quranic study

Lect. Razak Mahdi Hamadi Al-Saadi

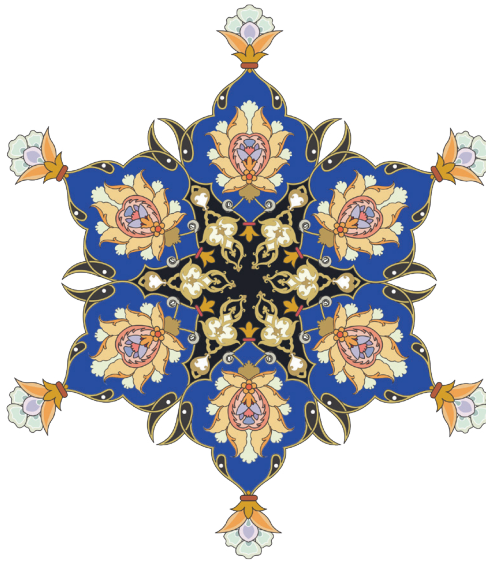
Karbala Education Directorate

Email: razaqmhde1234@gmail.com

ملخص البحث

إذا تدبرنا الآيات في القرآن الكريم، نجد أنه يضع لنا قانوناً يوضح ارتباط العمل بالجزاء فمتى غير الإنسان والمجتمع حاله من العصيان إلى الطاعة بدل سبحانه حالهم إلى الرخاء وكذلك إذا ما رجع الإنسان في الشدة والبأساء التي أصابته إلى الله بقلب سليم بدل الله تعالى حاله إلى الرخاء، أما إذا كان في نعمة ودعة ورخاء ثم بطر وظلم ظهر، جازاه الله بتبديل نعمته إلى بأساء وضراء، وكذلك جعل سبحانه ارتباطاً بين العمل ونوع البلاء الذي يصيب الناس، فما على الإنسان إلا أن ينتبه انتباهاً تامل لأعماله التي يقوم بها، بل يحسب حساباً دقيقاً لكل كلمة تخرج من فيه فكم من كلمة جرّت الويلات على الناس ولم ييخس سبحانه المتقين فقد وعدهم بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، فإذا صلح الفرد والمجتمع انعكس ذلك أثراً إيجابياً فيهما.

الكلمات المفتاحية: العمل، الجزاء، الفرد، المجتمع، القرآن الكريم.



Abstract

If we contemplate the verses in the Holy Qur'an, we find that it lays down for us a law that clarifies the connection between work and retribution. When does man and society change a state of disobedience to obedience, God Almighty replaces their condition to prosperity, and likewise if a person returns in the distress and misfortune that befell him to God with a healthy heart, God Almighty changes his condition to prosperity. But if he was in grace, meekness and prosperity, then arrogance and oppression appeared, then God rewarded him by changing his grace to misfortune and adversity. Likewise, Glory be to Him made a connection between work and the type of affliction that befalls people. Man has only to pay careful attention to his deeds that he performs, but he calculates an accurate account for each A word comes out of his mouth, so how many words have afflicted the people, and He, Glory be to Him, did not underestimate the righteous, as He promised them a good reward in this world and the Hereafter.

Keywords: work, penalty, individual, society, the Holy Quran.



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة على محمد وآله وبعد..
استخلف سبحانه الانسان في الارض ليشيدها ويعمرها ، ولا يكون ذلك إلا بالعمل
الدؤوب فكل عمل يقوم به الانسان ينعكس أثرا في حياته ومجتمعه وبيئته ، وقد اقتضت
العدالة الالهية أن يكون لكل عمل جزاء في الدنيا والاخرة ، وإنّ هذا الجزاء يرتبط ارتباطا
وثيقا بنوع العمل ، فأثر العمل الصالح في المجتمع واضح في علو شأنه ورقبه بين الامم ،
فتعيش الأمة في أمن وأمان ، وتنهل عليها بركات السماوات والارض ، أما العمل الخبيث
فإنّ له اثارا وخيمة ؛ لأنّ الجزاء الالهي يكون رادعا لمن تسول له نفسه الاساءة وليتعض به
غيره ، وكذلك يجب أن يترتب على عمل الانسان أثرا تربويا وإلّا فقد العمل قيمته ﴿إِنَّ
الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت الآية ٤٥] فاذا لم تنه الصلاة صاحبها
عن المنكر فما قيمتها وبمجرد النظر في القرآن الكريم ينكشف لنا حال الأمم السابقة التي
ارتكبت الاعمال السيئة ، فكان جزائها نزول العذاب العظيم .

واليوم تعيش المجتمعات حال من الانغماس في الرذائل ، والأعمال القبيحة فيد
الانسان أمتدت لإفساد البر والبحر فأذى الحيوان والنبات ، بل قست القلوب ليدمر
أخيه الانسان ، فما أن ذلل الصعاب حتى صنع الاسلحة الفتاكة التي بمقدورها أن تبعد
مساحات واسعة من الارض وتجعلها ركاما وتهلك الحرث والنسل ، ولولا العناية الالهية
وتدخلها في كل الأمور لأصبح العيش مع الظالمين أمرا محالا ؛ لأنهم يكيّدون ويكيّد الله
ويمكرون والله أعلم بمكرهم وما يحاك عندهم من مكائد ؛ لذا كان الجزاء الالهي مناسب
لأعمالهم ، وهذا ما دعاني لتسليط الضوء على الآيات التي ربطت بين أعمال الناس وبين
اثارها معتمدا على الاثار الدنيوية فقط ، وقد قمت بتصنيف الآيات المباركة والتعليق عليها
وذكر الاستنتاجات ، وربطها بأقوال المعصومين تارة ، وتارة اخرى بذكر تحليلها من بطون
أمهات الكتب وقسمت البحث الى مبحثين : الاول: أثر العمل على الفرد والامة ، والثاني:
الانحراف في الأعمال وارتباط ذلك بالعذاب الالهي .



المبحث الاول / اثر العمل على الفرد والامة

تعريف المصطلحات

العمل، مُحَرَكَةٌ: المهنة، وَأَيْضًا الْفِعْلُ وَالْعَمَلُ: حَرَكَةُ الْبَدَنِ بِكُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ، وَرَبَّمَا أُطْلِقَ عَلَى حَرَكَةِ النَّفْسِ، فَهُوَ إِحْدَاثُ أَمْرٍ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، بِالْجَارِحَةِ، أَوْ الْقَلْبِ، لَكِنَّ الْأَسْبَقَ لِلْفَهْمِ اخْتِصَاصُهُ بِالْجَارِحَةِ، وَخَصَّصَهُ الْبَعْضُ بِمَا لَا يَكُونُ قَوْلًا، وَنُقِشَ بِأَنَّهُ تَخْصِصُ الْفِعْلِ بِهِ أَوْلَى مِنْ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهُمَا مُتَقَابِلَيْنِ، فَيُقَالُ: الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ، وَقِيلَ: الْقَوْلُ لَا يُسَمَّى عَمَلًا عُرْفًا، وَلِذَا يُعْطَفُ عَلَيْهِ، فَمَنْ حَلَفَ لَا يَعْمَلُ فَقَالَ، لَا يَحْنُثُ، وَقِيلَ: التَّحْقِيقُ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي الْعَمَلِ وَالْفِعْلِ إِلَّا مَجَازًا^(١).

الْأَثَرُ: يَفْتَحَتَيْنِ مَا بَقِيَ مِنْ رَسْمِ الشَّيْءِ وَضَرْبَةِ السَّيْفِ، وَسُنَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (آثَارُهُ) وَ (اسْتَأْثَر) بِالشَّيْءِ اسْتَبَدَّ بِهِ وَالْإِسْمُ (الْأَثَرَةُ) يَفْتَحَتَيْنِ وَاسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِفُلَانٍ إِذَا مَاتَ وَرَجِيَ لَهُ الْغُفْرَانُ، وَ (أَثَارُهُ) مِنْ عِلْمٍ بَقِيَّةٌ مِنْهُ، وَكَذَا الْأَثَرَةُ يَفْتَحَتَيْنِ، وَ (التَّأْيِيرُ) إِبْقَاءُ الْأَثَرِ فِي الشَّيْءِ^(٢).

الجزء: المكافأة على الشَّيْءِ وَهُوَ مَا فِيهِ الْكَفَايَةُ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ وَاجْتَرَأَ: طَلَبَ مِنْهُ الْجَزَاءَ وَجَزَى الشَّيْءُ يُجْزِي: كَفَى^(٣).

إرتباط التقوى والعمل الصالح بأحوال الانسان والمجتمع

إن أراد الانسان الحصول على خيرات الارض والسماء الوفيرة ما عليه إلا أن يجد مفاتيح تلك الخزائن ، وتلك المفاتيح تتمثل بالإيمان بالله والعمل بما يرضيه ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف الآية ٩٦] أي لو أنهم سلكوا سبيل الإيمان والتقوى ، بدل الطغيان والتمرد وتكذيب آيات الله والظلم والفساد ، لم يتخلصوا

(١) تاج العروس: محمد الزبيدي: (٥٦ / ٣٠)

(٢) مختار الصحاح: زين الدين الرازي: (ص ١٣)

(٣) ينظر: القاموس المحيط : مجد الدين الفيروزابادي: (ص: ١٢٧٠) وتاج العروس: محمد الزبيدي:



من غضب الله وعقوبته فسحب ، بل لفتحت عليهم أبواب السماء والأرض . ولكن للأسف - أكثرهم تركوا الصراط المستقيم الذي هو طريق السعادة والرفاه والأمن ، وكذبوا الأنبياء ، وتجاهلوا برامجهم الإصلاحية ، فعاقبناهم بسبب أعمالهم ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ، وأختلف في المراد من قوله « بركات » الأرض والسماء ؟ فقال البعض : إنها المطر ، والنباتات التي تنبت من الأرض ، وفسرها البعض بإجابة الدعاء ، وحل مشاكل الحياة ، ولكن هناك احتمال آخر - أيضا - هو أن المراد من البركات السماوية هي البركات المعنوية ، والمراد من البركات الأرضية هي البركات المادية ، ومع ملاحظة الآيات السابقة لهذه الآية يكون التفسير الأول أنسب من الجميع ، لأنه في الآيات السابقة التي شرحت العقوبات الشديدة التي حلت بالمجرمين والطغاة ، فأشارت تارة إلى نزول السيول من السماء وطغيان الينابيع والعيون من الأرض (مثل طوفان نوح) ، وأخرى إلى الصواعق والصيحات السماوية ، وثالثة إلى الزلازل الأرضية الرهيبة وفي الآية المطروحة هنا طرحت هذه الحقيقة على بساط البحث ، وهي : أن العقوبات ما هي إلا لأفعالهم هم ، وإلا فلو كان الإنسان طاهرا مؤمنا ، فإنه بدل أن يحل العذاب السماوي أو الأرضي بساحته ، تتواتر عليه البركات الإلهية من السماء والأرض . . . أجل ، إن الإنسان هو الذي يبدل البركات بالبلايا ، فإن الآية وإن كانت ناظرة إلى وضع الأقوام الغابرة ، ولكنه من المسلم أن مفهومها مفهوم واسع وعام ودائم ، ولا تنحصر في شعب معين أو قوم محددين ، فإنها سنة إلهية أن يتلى غير المؤمنين ، والمتورطين في المعاصي والذنوب بأنواع مختلفة ومتنوعة من البلايا في هذه الدنيا ، فربما ينزل عليهم البلاء السماوي والأرضي ، وربما تشتعل نيران الحروب العالمية أو المحلية فتبتلع أموالهم وتبيدها وربما يفارقهم الأمن والاستقرار ، فتسحق المخاوف والهواجس بأظلافها أبدانهم ونفوسهم ، وحسب تعبير القرآن يكون كل ذلك بما كسبت أيديهم ورد فعل لأعمالهم ، وإن فيض الله ليس محدودا ولا ممنوعا ، كما أن عقوباته لا تختص بقوم أو شعب^(١) .



(١) تفسير الامثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي: (١٢٧/٥)

أثر الصبر على الجزاء

تظهر قيمة الصبر في أشد الظروف قساوة كالحروب، ومن أبرز مقومات النصر في المعارك الصبر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران الآية ٢٠٠] فالمعركة تحتاج للمقاتل الصابر الشجاع، لأن ذلك ينعكس أثرا إيجابيا في نتائج المعركة، فقد تكون الكفة غير متساوية من حيث العدة والعدد فيكون الصبر مفتاح النصر ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلِقُوا اللَّهَ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة الآية ٢٤٩] وقد أوجب الله على المؤمنين الصبر والثبات أمام العدو وإن كان عدده أضعاف مضاعفة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال الآية ٦٥] وتفضل سبحانه على المؤمنين فأوجب الصبر ﴿الَّذِينَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال الآية ٦٦] فالمئة الصابرة قادرة على مواجهة الضعف والنصر عليهم شرط تحقق الصبر، وإذا تتبعنا الآيات المباركة نرى أثر الصبر بالظفر بالمعركة ومن ذلك:

اولا: معركة بدر الكبرى: حيث كان المسلمون قليلي العدة والعدد فاقدوا على مواجهة العدو بكل ما أوتوا من قوة فجازاهم الله:

١- الملائكة تحارب معهم ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال الآية ٩].

٢- النعاس كي يكونوا متأهين للمعركة ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً﴾ [الأنفال الآية ١١].

٣- المطر ليظهرهم به ولتتماسك الارض تحت اقدامهم ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال الآية ١١].

ثانيا: معركة الأحزاب فقد تجلت فيها مصاديق الصبر الحقيقية، فالمسلمون محاصرون

وقد اشتدت بهم الحال والارهاق بعد حفر الخندق وكثرة جمع المشركين ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب الآية ١٠] إلا أنهم صبروا وانكشف لهم ضعف ايمان البعض فكان الجزاء الالهي أن ارسل الملائكة والرياح لتوقع الهزيمة بالمشركين ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب الآية ٩] ولترك الصبر آثار وخيمة ففي معركة أحد كان لنفاذ صبر المسلمين ومخالفتهم أمر النبي ﷺ في البقاء على الجبل اثرا سلبيا فقد تسارعوا للحصول على الغنائم فانقلب نصر المسلمين الى هزيمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران الآية ١٥٥] فبالرغم من كون وضع المسلمين أفضل من معركة بدر إلا أن الله لم ينزل الملائكة للقتال معهم جزاء مخالفتهم لأمر الرسول ﷺ .

ثالثا: معركة حنين كان لأعجاب المؤمنين بعدتهم وعددهم وعدم صبرهم في مواجهة العدو الأثر الكبير في الهزيمة المرة التي حلت ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذْبِرِينَ﴾ [التوبة الآية ٢٥] ولولا موقف النبي والثلة الصابرة التي تقدمت للقتال ؛ لأنهم المسلمين في المعركة وعندما عاد المسلمون لرشدتهم وعادوا للقتال بعد انسحابهم جاءتهم الامدادات الالهية ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة الآية ٢٦] ولهذا كان للثلة القليلة الصابرة المجاهدة في سبيل الله الأثر الكبير في تحقيق كل الانتصارات على مر التاريخ فقد امتحن الله تعالى جيش طالوت الجرار بالعطش ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة الآية ٢٤٩] فمن شرب وارتوى من الماء وخالف أمر النبي لم يكن من الثلة الصابرة التي تستنال الظفر بالمعركة ، والحال نفسه في الجيش الذي صحب الامام الحسين فقد أخبرهم الامام عليه السلام بأنه ماض للشهادة لا للسلطة ففشلت الجموع الغفير التي سارت معه لنيل ما



أرادوه بدواخلهم ولم ينالوا شرف الشهادة مع الامام ، وبقت الثلة القليلة الصابرة التي لم تبال بالعطش والجموع أما الاختبار الثاني لجيش طالوت كان عندما شاهدوا الجيش الجرار لجالوت فارتدوا ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة الآية ٢٤٩] اما الثلة الصابرة الثابتة الايمان فقد قالوا ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا بِاللَّهِ كَمَ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة الآية ٢٤٩] وكان دعائهم ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة الآية ٢٥٠] فكان النصر المؤزر على العدو أمام الامام الحسين فقد أخبر أصحابه أن الجموع الغفيرة ترتضي بالقضاء عليه وحده ؛ لذا أرخص لهم الانصراف من المعركة فقال لهم (هذا الليل فاتخذوه جملاً فان القوم إنما يريدونني ، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم ، وأنتم في حل وسعة)^(١) وقد أخبر السيدة زينب عليها السلام بذلك حين قالت له : (يا بن أُمي هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخاف أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة) ، فبكى الحسين عليه السلام وقال : (أما والله لقد بلوهم فما رأيت فيهم إلا الأشوس الأفعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه)^(٢) وعندما ضحى الامام الحسين بكل ما لديه في سبيل الله كان نصر الدم على السيف فاصبح الحسين عليه السلام نبراساً لكل أحرار العالم جزاء له من الله .

قانون تغيير الجزاء وفقاً للعمل

من المسلم لدى الانسان إذا أراد أن يغير حاله من حال الى حال ، وجب عليه أن يغير ظروفه وما يحيط به فالمريض إذا أراد الشفاء وجب عليه أن يتناول الدواء ، وأن يتعد عن الظروف التي سببت له المرض ، لذا فالتغيير في حياة الانسان والانتقال من حال الى حال مرتبط بإرادة الفرد والمجتمع في التغيير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد الآية ١١] تحدث الآية المباركة عن علاقة متينة بين القاعدة (المحتوى النفسي والروحي للإنسان) ، والبناء العلوي (الوضع الاجتماعي) ، بين الوضع النفسي والروحي والفكري للإنسان ، وبين الوضع الاجتماعي

(١) الخرائج والجرائح: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي : (٢/ ٨٤٧)

(٢) المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي: (ص ٢٣١)



بين داخل الانسان وبين خارجه ، فخارج الانسان يصنعه داخل الانسان فاذا اراد تغيير ما بنفس القوم غير ما عليه وضعهم وعلاقاتهم والروابط التي تربط بعضهم ببعض^(١) ، وقد ينعم سبحانه وتعالى على الانسان بنعمة عظيمة - وكل النعم عظيمة - فيبطل الانسان ولا يؤدي حق هذه النعمة ، أو يكون بادئ الامر مستحقا لها فيبدأ بالتغير ونكران النعمة فيكون الجزاء من الله بتغيير تلك النعمة الى نقمة عليهم ، أو زوالها عنهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال الآية ٥٣] وذلك بأن الله لم يكن يزيل نعمة أنعمها على قوم ، حتى يتغيروا هم عن أحوالهم المرضية إلى أحوال لا يجوز لهم أن يتغيروا إليها ، وهو أن يستبدلوا المعصية بالطاعة ، وكفران النعمة بشكرها ، وقد يسلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة ، لا على وجه العقاب ، امتحانا لمصلحة يعلمها في ذلك ، ولكن لا يسلبها بفعل النعمة على وجه العقاب ، إلاّ عمن استحق العقاب^(٢) وبعبارة أخرى : إنّ الرحمة الربانية عامة تسع جميع الخلق ، لكنها تبلغ الناس وتصل إليهم بما يناسب كفاءتهم وشأنهم ، فإنّ الله سبحانه يغدق مبتدئا بنعمه المادية والمعنوية على جميع الأمم ، فإذا استفادوا من تلك النعم في السير نحو الكمال والاستمداد منها في سبيل الحق تعالى والشكر على نعمه بالإفادة منها إفادة صحيحة ، فإنّ الله سبحانه سيثبت نعمه ويزيدها ، أما إذا استغلت تلك المواهب في الطغيان والانحراف والعنصرية ، وكفران النعمة والغرور والفساد ، فإنّ الله سيسلبهم تلك النعم أو يبدها إلى بلاء ومصيبة ، بناء على ذلك فإنّ التغيير يكون من قبلنا دائما ، وإلاّ فإنّ النعماء الإلهية لا تزول^(٣) ، ولعل أبرز مثال على ارتباط تغير وواقع الامة بأعمالها ما حدث في بني اسرائيل ، فعندما آمنوا واحسنوا بارك الله لهم في معيشتهم وعلا شأنهم ، ثمّ ما أن انقلبوا وعاثوا الفساد في الارض سلب الله منهم الأمن والأمان ودمرهم تدميرا ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿[الإسراء من الآية ٤ الى الآية ٥] فعندما ندموا وأصلحوا حالهم جازاهم الله بالحسنى واعاد لهم نعمهم ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا



(١) السنن التاريخية في القرآن: محمد باقر الصدر: (ص ٦٠).

(٢) مجمع البيان: احمد بن علي الطبرسي: (٤/ ٤٨٢).

(٣) الامثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي: (٥/ ٩٤).

لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا» [الإسراء الآية ٦] ثم أكد سبحانه لهم إنَّ حال مجتمعهم رفاهه نعيمه دماره وهلاكه مرتبط بأعمالهم، فإن أحسنوا أحسن الله لهم وإن أساءوا نالهم عذابه الاليم ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمُوا تَنْبِيرًا» [الإسراء الآية ٧] وهذه الآيات الأنفة تشير إلى قاعدة مهمة ، وهي أنَّ أعمال الإنسان سواء كانت حسنة أم قبيحة ، فإن مردها يعود إليه صحيح أنَّ الآيات تتحدث عن بني إسرائيل ، ولكن القاعدة من الشمول والعموم بحيث تشمل كافة البشر على مر التاريخ ، فإن الحياة والتاريخ يعكسان لنا الكثير من تلك النماذج التي أسست أعمالا وسننا سيئة ، وسنت قوانين ظالمة ومبتدعة ، ولكنها في النهاية ، كانت ضحية ما سنت وابتدعت وأسست ، وكانت نهايتها ونهاية من يلوذ بها الوقوع في الحفرة نفسها التي حفرتها للآخرين ، وبذلك نالت جزاءها بما اقترفت أيديها ، وإنَّ خصوصية هذا الأمر تتضح أكثر بالنسبة لأعمال الفساد وعلى الأخص العلو والاستكبار، فإنَّ الإنسان لا بد وأنَّ يذوق في هذه الدنيا جزاء ما اقترف من أسباب العلو والاستكبار والإفساد ؛ ولهذا السبب بالذات رأينا أنَّ بني إسرائيل لا قوا جزاءهم السريع في الدنيا ، من دون أنَّ يعني ذلك انتفاء العقاب الأخروي إذ عاشوا طويلا واقع الشتات والتشرد ، وذاقوا الكثير من السوء والمصائب^(١) .

أثر العمل والذكر في الانسان ومحيطه

أكد القرآن الكريم على أنَّ هناك ارتباط وثيق بين ذكر الله تعالى وبين ما يحل بالإنسان من أثر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد الآية ٢٨] وهذا الذكر يتنوع من قراءة القرآن ، وتسبيح الله وغيره وهنا الأثر يتعلق بالفرد نفسه حيث يحصل على مردود ايجابي ، كتخفيف التوتر وتهذئة الاعصاب ، كما ينفع في معالجة القلق والاحباط ويزيد في الحلم وضبط اللسان ، ويعين على الصبر والتحمل وقوة الارادة ، وله أيضا فوائد تتعلق في جسم الانسان كتشيط الدورة الدموية في مختلف مناطق

(١) ينظر: المصدر نفسه (٧/ ٢٣٥)



الدماغ ويوسع الذاكرة ويرفع درجة الذكاء ، وغيرها من الفوائد التي توصل لها العلماء^(١) وقد طرح بعض المفسرين هنا هذا السؤال ، وخلاصته : نحن قرأنا في الآية أعلاه ألا يذكر الله تطمئن القلوب ومن جانب آخر فإن الآية ٢ من سورة الأنفال تقول ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال الآية ٢] فهل إن هاتين الآيتين متناقضتين ؟ الجواب : إن الطمأنينة المحمودة هي ما كانت في مقابل العوامل المادية التي تقلق الإنسان ، ولكن المؤمنين لا بد وأن يكونوا قلقين في مقابل مسؤولياتهم ، وبعبارة أخرى : إن المؤمنين لا يشكون من الاضطراب المدمر الذي يشكل غالبية أشكال القلق والاضطرابات ولكن القلق البناء الذي يحس به الإنسان تجاه مسؤولياته أمام الله فهو المطلوب ولا بد منه ، وهذا هو الخوف من الله^(٢) وللاستغفار اثر عظيم يظهر على بيئة الانسان ؛ لأن الله تكفل للناس بأن يحقق لهم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۚ﴾ [نوح من الآية ١٠ الى الآية ١٢] فالول أثر يظهر لهم هو نزول المطر بغزارة (مدرارا) كناية عن الخير الكثير ، ثم يزيد سبحانه ذريتهم وأموالهم بعد أن يصلح لهم الزراعة والتجارة ببركة المطر ثم يجزيهم في الآخرة الجنات والانهار ، وقد أكد سبحانه أن هذه النعم ترتبط بالاستغفار المقرون بالتوبة الحقيقية ﴿يَقُومُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُبُّوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود الآية ٥٢] وفي قصة أصحاب البساتين كان الاثر البيئي هو ما جاء على لسان المؤمن الناصح ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۖ أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُوَ طَلَبًا ۚ﴾ [الكهف من الآية ٤٠ الى الآية ٤١] وفي الحالة الثانية كان الاثر ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۚ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۚ﴾ [القلم من الآية ١٩ الى الآية ٢٠] ويظهر الاثر السلبي للإنسان على بيئته بعد أن نسي ذكر الله وتعالى وتعسف في استغلال سيادته على الارض ، فترك طريق الله واتبع طريق الشيطان فكان له بالغ الاثر في سيادة الفوضى والدمار في كل أرجاء المعمورة ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ



(١) ينظر : منتدى الاعجاز العلمي : محمد فرشوخ <https://www.iijaz forum org>

(٢) الامثل في كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي : (٦ / ٤٤٥ - ٤٤٨).

فِيهَا وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿البقرة الآية ٢٠٥﴾ وأكد سبحانه إنَّ اثار الفساد في البر والبحر نتيجة ما اقترفه الانسان ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرؤم الآية ٤١] ظهر قحط المطر، وقلة النبات في البر ^(١) وقيل المراد بالبحر المدينة لكثرة سكانها، وبالبر القرية لقلتهم أو إنَّ البر والبحر كناية عن كثرة الفساد وانتشاره ، وكل ما حرمه الله ونهى عنه فارتكابه جريمة وفساد في الأرض ، كالحرب والبغي والإسراف والخلاعة والفجور والخمر والميسر والاستخفاف بفرائض الله وعبادته ، وما إلى ذلك وإذا وصف سبحانه عصر الجاهلية بظهور الفساد برا وبحرا حيث لا أسلحة كيمياوية ولا قنابل نووية، ولا شركات للاستغلال والاحتكار ، ولا كازينوهات وخلاعات فبأي شيء نصف عالم اليوم الذي يهدده الفناء والدمار الشامل في كل لحظة ، يهدده الفناء والهلاك لا بفعل الله ، ولا بكوارث الطبيعة ، بل بفعل الناس الذين يملكون أبشع أسلحة الافناء والإهلاك ، ^(٢) كما أنَّ هناك ارتباط وثيق بين عمل الانسان وبركات الارض ؛ لأنَّ الله تكفل بزيادة خيرات أرض المؤمنين وبقلة الغلة للكافرين ﴿الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف الآية ٥٨] والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ؛ فهذا مثل ضربه الله للمؤمن ، يقول : هو طيب وعمله طيب كما البلد الطيب ثمره طيب ؛ ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة ، فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث ^(٣) كما يظهر أثر الاستقامة واضحا في توفر خيرات الارض ﴿الَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن الآية ١٦] وَالْإِسْتِقَامَةُ عَلَى الطَّرِيقَةِ تَمَثِيلٌ لِهَيْئَةِ الْمُتَصِفِ بِالسُّلُوكِ الصَّالِحِ وَالْإِعْتِقَادِ الْحَقِّ بِهَيْئَةِ السَّائِرِ سَيْرًا مُسْتَقِيمًا عَلَى طَرِيقَةٍ، وَقَوْلُهُ: لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا: وَعَدٌ بِجَزَاءٍ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ فِي الدِّينِ جَزَاءً حَسَنًا فِي الدُّنْيَا يَكُونُ عُثْوَانًا عَلَى رِضَى اللَّهِ تَعَالَى وَبِشَارَةِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، فَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَتَابُوا وَأَقَامُوا مَا أَمَرُوا بِهِ لَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ لَهُمْ خَيْرَ الدَّارَيْنِ ^(٤) ولسوء العمل

(١) مجمع البيان: احمد بن علي الطبرسي: (٦٥ / ٨).

(٢) الكاشف: محمد جواد مغنية: (١٤٧ / ٦).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري: (٢٧٥ / ٨).

(٤) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: (٢٣٨ / ٢٩).



الذي يرتكبه الانسان أثرا على بيئته فقد ورد في الاحاديث عن رسول الله ﷺ انه قال (إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتهما)^(١) وقال ﷺ: (إذا فشى فيكم خمس حل بكم خمس : (إذا فشى فيكم الزنا كانت الزلزلة وإذا فشى فيكم الربى كان الخسف ، وإذا منعت الزكاة هلك البهائم وإذا جار السلطان قحط المطر ، وإذا خفرت الذمة كانت الدولة للمشركين على المسلمين)^(٢) وقال : (إذا كثرت الربا كثرت موت الفجاءة ، وإذا طفف المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص ، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض من زكاتها ، وإذا جاروا في الأحكام وتعاونوا وخانوا العهود سلط عليهم عدوهم ، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار ، وإذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويتبعوا الأخيار سلط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم)^(٣) وقد أشارت الزهراء لارتباط العمل بالجزاء بقولها : (فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تركيةً للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة (للفرقة)، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونةً على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحةً للعامة، وبرّ الوالدين وقايةً من السخط، وصلة الأرحام مناةً للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكايل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة) ؛ ولذلك فارتكاب الذنب له تأثير مباشر على أجل الفرد نفسه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح الآية ٤] ، يستفاد من هذا الآية أنّ الأجل وموعد عمر الإنسان قسمان ، هما : الأجل المسمى، والأجل النهائي ، أو بعبارة أخرى الأجل الأدنى ، والأجل الأقصى أو الأجل المعلق ، والأجل الحتمي ، القسم الأول للأجل قابل للتغير والتبديل ، فقد يتدنى ويقل عمر الفرد كثيراً ؛ بسبب الذنوب والأعمال السيئة وهذا نوع من أنواع العذاب الإلهي، وبالعكس فإنّ التقوى وحسن العمل والتدبير يمكن أن تكون سبباً لتأخير الأجل ، ولكن

(١) الكافي: محمد بن يعقوب الكليني : (٣/ ٥٠٥).

(٢) روضة الواعظين: محمد بن فتال النيسابوري (٤٨٥).

(٣) تاريخ يعقوبي: احمد بن ابي يعقوب اليعقوبي: (٢/ ٩٤).

الأجل النهائي لا يتغير بأي حال من الأحوال ، ويمكن توضيح هذا الموضوع بمثال واحد ، وهو أنه ليس باستطاعة الإنسان أن يبقى خالداً ، وإذا كانت جميع الأجهزة البدنية تعمل جيداً ففي النهاية سوف يصل شيئاً فشيئاً إلى زمن ينتهي عمره ويعجز قلبه ، ولكن تطبيق الأوامر الصحية ومجابهة الأمراض يمكن أن يطيل في عمر الإنسان ، وفي حالة عدم مراعاة هذه الأمور فإن من المحتمل أن يقلل ذلك من عمر وينهي عمره بسرعة^(١) وقد وردت في بحار الانوار أحاديث للمعصومين تظهر مدى الارتباط الكبير بين ما يعمله الانسان وما يترتب عليه من أثر فكل معصية لها جزاء خاص بها منها: ^(٢)

عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « الذنوب التي تغير النعم : البغي ، والذنوب التي تورث الندم : القتل ، والتي تنزل النقم : الظلم ، والتي تهتك الستر : شرب الخمر ، والتي تحبس الرزق : الربا ، والتي تعجل الفناء : قطيعة الرحم ، والتي ترد الدعاء وتظلم الهواء : عقوق الوالدين » ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله ، إلا أن فيه : « والذنوب التي تهتك العصم ، وهي الستور : شرب الخمر » عن إسحاق بن عمار ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « كان أبي عليه السلام يقول : نعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء ، وتقرب الآجال ، وتخلي الديار ، وهي : قطيعة الرحم والعقوق وترك البر » وقال أبو عبد الله عليه السلام : « إذا فشت أربعة ظهرت أربعة : إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل ، وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية ، وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء ، وإذا خفرت الذمة نصر المشركون على المسلمين » ، ونجد بعض الاعمال ونتيجة لفظاعتها يكون تأثيرها كونيا كقتل سيد شباب الجنة فقد مطرت السماء دماً ايذاناً بعظم الجرم ؛ وليكون هذا الاثر شاهداً عليهم فقد ورد في خطبة السيدة زينب عليها السلام (أفعجبتم أن مطرت السماء دماً فلعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون)^(٣) وورد في المصادر (لما أن قتل الحسين بن علي مطرت السماء دماً فأصبحت وكل شيء لنا ملأً دماء)^(٤) ، وقد تعدى الاثر ليشمل تأثير ذلك على الكواكب والنجوم فقد جاء في الحديث (لما قتل الحسين بن علي كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف

(١) الامثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي: (١٤/٤٥٤).

(٢) بحار الانوار: العلامة محمد باقر المجلسي: (٢٩٠/٨٨) و (ج ٩٢/١٣).

(٣) لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين العاملي: (ص ٢٠١).

(٤) تهذيب الكمال: يوسف بن عبد الرحمن المزي: (٦/٤٢٢).



النهار حتى ظننا أنها هي (١) ، وآثار هذه الجريمة ظلت باقية الى يومنا هذا فالحمرة التي ترى في السماء ما هي إلا أثر يذكركنا بذلك العمل الفضيع الذي قامت به هذه الأمة فقد ورد في الحديث عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد قال: تعلم هذه الحمرة في الأفق مم هو؟ فقال: من يوم قتل الحسين بن علي (٢) .

الاثار الايجابية في المجتمعات الكافرة

إذا كان الإيمان والتقوى يبعثان على نزول أنواع البركات الإلهية ، ويكون العكس موجبا لسلب البركات ، فلماذا نشاهد الشعوب غير المؤمنة ترفل في الرخاء والرفاه ، في حين يعيش جماعة من أهل الإيمان بعسر ومشقة ؟ قد أجاب القرآن الكريم على ذلك ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف الآية ٣٣] إن الإجابة على هذا السؤال تتضح بملاحظة نقطتين (٣) :

١- إن تصور الشعوب غير المؤمنة الفاقدة للتقوى ترفل في النعمة والرخاء وتغرق في السعادة ، هو تصور خاطئ ينبع من اشتباه أكبر ، وهو اعتبار الثروة دليلا على السعادة فإن الناس يتصورون - عادة - أن كل شعب امتلك صناعة أكثر تقدما ، وثروة أكبر ، كان أسعد من غيره ، في حين لو تسنى لنا أن ننفذ إلى أعماق هذه المجتمعات ونلاحظ الآلام المؤضة التي تحطم روح هذه الشعوب وجسمها عن كذب ، سوف نسلم أن أكثر تلك الشعوب هي من أشقى سكان الأرض ، هذا بغض النظر عن أن هذا التقدم النسبي إنما هو نتيجة استعماهم لأصول ومبادئ مثل السعي والاجتهاد .

٢- أما ما يقال عن سبب تخلف المجتمعات المتحلية بالإيمان والتقوى ، فإذا كان المقصود من الإيمان والتقوى هو مجرد ادعاء الإسلام وادعاء أتباع مبادئ الأنبياء وتعاليمهم ، فالاعتراض وجيه ولكننا لا نعتبر حقيقة الإيمان والتقوى إلا نفوذهما وسطوتهما في جميع أعمال الإنسان ، وجميع شؤون الحياة ، وهذا أمر لا يتحقق بمجرد الادعاء والزعم ، وإن من المؤسف جدا أن نجد التعاليم الإسلامية ومبادئ الأنبياء متروكة ، أو شبه متروكة في



(١) مجمع الزوائد: أبو الحسن نور الدين علي الهيثمي: (١٧٩/٩).

(٢) تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر: (٢٢٧/١٤).

(٣) الامثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي: (١٢٧/٥).

كثير من المجتمعات الإسلامية ، فلامح هذه المجتمعات ليست ملامح مجتمعات المسلمين الصادقين الحقيقيين ، لقد دعا الإسلام إلى الطهارة والاستقامة والأمانة والاجتهاد والجد ، فأين تلك الأمانة والاجتهاد؟ إن الإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة واليقظة والوعي ، فأين ذلك العلم والوعي واليقظة؟! وإن الإسلام يدعو إلى الاتحاد والتضامن ووحدة الصفوف والتفاني ، فهل سادت هذه الأصول والمبادئ في المجتمعات الإسلامية الحاضرة بصورة كاملة ، ومع ذلك بقيت متخلفة؟! لهذا يجب أن نعرف بأن الإسلام شيء ، والمسلمون اليوم شيء آخر .

أثر الاعمال الخفية في المجتمع

تكرم الله سبحانه على الانسان بالنعم ، فالإنسان يعصي وهو سبحانه يعفو ويعطي ، وتبقى الرحمة الالهية تحيط به فلو تدبرنا القرآن لوجدنا يد الرحمة الربانية تتدخل في العديد من جوانب حياة الانسان ، وقد يكون ذلك بتدخل أشخاص انتخبهم سبحانه وأعطاهم علماً خصهم به ؛ ليقوموا بأعمال خاصة لها أثرها الايجابي على الأفراد والمجتمعات ، فقد أوكل سبحانه لعبده الصالح القيام بأعمال خاصة ذات تأثير عظيم في ديمومة الحياة وكان لها اثرها الظاهر في المجتمع وهذا العلم الخاص ويخبرنا القرآن الكريم عن نماذج من عباد الله قد خصهم بعلم ، مع وجود النبي ، من مثل وزير سليمان ، فمعظم الأنبياء لهم وظيفة هي الانشغال في الدعوة إلى الله ، والنصح وبناء المجتمع الايماني أما دقائق الامور وعبر الدهور فذلك لا يتاح لبعض الأنبياء ؛ فموسى عليه السلام بجلالة قدره طلب أن يكون طالبا عند ذلك العبد الصالح ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٦٧ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٩ قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ٧٠﴾ [الكهف من الآية ٦٦ الى الآية ٧٠] ويروي لنا القرآن الكريم كيف أن العبد الصالح قام بأعمال توحى بالظاهر بالظلم حيث كانت ردة فعل موسى عليه السلام معارضة لتلك الاعمال انطلاقا من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف الآية ٧١] والنتيجة ترك العبد الصالح موسى ؛ لكي يكمل عمله الموكل له من الله على



مر العصور والدهور بعد أن أوضح له كل النتائج الايجابية التي قام بها ؛ أمّا الشخص الثاني الموكل له تنفيذ الاعمال الخاصة على مر الأجيال فهو الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف بعد أن ورث ذلك عن آبائه عليهم السلام فالأرض لا تخلو من حجة يكون يد الله في الارض ، وهذا ما أكدته الروايات فقد ورد عن الحسن بن علي الوشا قال : قلت لأبي الحسن الرضا : هل تبقى الارض بغير امام فقال : لا . فقلت إنا نروي أنّها لا تبقى إلا أن يسخط الله على العباد قال عليه السلام (لا تبقى اذن لساخت)^(١) وعن اسحاق بن عمار قال : قال ابو عبد الله عليه السلام : الأرض لا تخلو من أن يكون فيها من يعلم الزيادة والنقصان فاذا جاء المسلمون بزيادة طرحها وإذا جاؤوا بالنقصان أكمله لهم ولولا ذلك لاختلط على المسلمين أمورهم)^(٢) ، وفي توقيع الامام المهدي للمفيد قال عليه السلام (إنا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم البلاء واصطلمكم الأعداء ، فاتقوا الله جل جلاله)^(٣) ، حيث تكون عناية الامام بالمؤمنين ؛ فغيابه لا يعني انقطاعه عن أداء واجبه الرباني ، فقد ورد في الحديث عنه عجل الله فرجه (وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي ، فكالإنتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب ، وأنا لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء)^(٤) ، وقد ترسل العناية الإلهية ما قد يتم به الامر كما حدث عندما اقتضت الحكمة الربانية ان يتغيب الهدد عن جيش سليمان ويذهب مكان بعيد جدا ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ۖ لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ ۖ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ۖ﴾ [النمل من الآية ٢٠ الى الآية ٢١] لينقل خبر شرك أهل اليمن بالله كي يترتب على ذلك الاثر المنشود ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ ۖ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۖ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۖ﴾ [النمل من الآية ٢٢ الى الآية ٢٣].



(١) علل الشرائع: ابو جعفر محمد بن علي الصدوق: (١/ ١٨٩)

(٢) المصدر نفسه: (١/ ١٩١)

(٣) بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (٥٣/ ١٧٥)

(٤) الاحتجاج: الشيخ احمد بن علي الطبرسي: (٢/ ٢٨٤)

الجزء بالمثل عند الانسان

بعد أن عرضنا نماذج من الجزء الالهي المناسب لأعمال العباد ؛ وجب علينا أن نستلهم من تلك الدروس والعبر التي تعيننا في تعامل بعضنا مع البعض الآخر ، وإذا انعمنا النظر في الآيات المباركة يمكننا القول أن جزء الاعمال عند الناس ينقسم الى :

١ - مقابلة الاحسان بالاحسان: أوجب سبحانه على الانسان أن يجازي أخيه الانسان بالحسنى إذا تفضل عليه وأحسن إليه ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرَّحْمَنُ الآية ٦٠] الله سبحانه يجازي عباده أفضل الجزاء لذا يجب على العباد فعل ذلك فيما بينهم، ويروي لنا القرآن كيف جازى شعيب عليه السلام موسى عندما سقى أغنامه ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [الْقَصَصُ الآية ٢٥] وأوجب سبحانه على أمة نبيه ﷺ أن يكون الجزاء الحسن للرسول هو محبة آل بيته عليهم السلام جزاء للتضحيات العظيمة التي قدمها من أجل نشر الدين ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشُّورَى الآية ٢٣] وما أسرع ما جوزي به الرسول فما أن أغمض عينيه حتى قوبلت كل تضحياته بالنار والمسمار.

٢ - مقابلة الشيء بمثله :ويتجسد هذا في العقوبات بالخصوص ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البَقَرَةُ الآية ١٧٨] ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَةُ الآية ١٧٩] وفي هذا التشريع رد للمعتدي ؛ ليعيش أبناء المجتمع بأمان، وقد أكد القرآن والنبي على أهمية القصاص ، فقد خطب في آخر عمره الشريف فقال : (إِنَّ رَبِّي عز وجل حكم وأقسم أن لا يجوز ظلم ظالم ، فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه ، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سودة بن قيس ، فقال له : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضاء وبيدك القضيب المشوق ، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني ، فلا أدري عمداً أو خطأ فقال معاذ الله أن أكون تعمدت ثم قال : يا





العمل أثره وجزاؤه في الفرد والمجتمع - دراسة قرآنية المصباح

بلال، قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق وبعد أن رجع بلال بالقضيب قال رسول الله ﷺ: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؟ فقال: تعال فاقتص مني حتى ترضى فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف ﷺ عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أأتذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار فقال رسول الله ﷺ: يا سودة بن قيس، أتعفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو يا رسول الله فقال ﷺ: اللهم اعف عن سودة بن قيس كما عفا عن نبيك محمد^(١)، ومن نماذج مقابلة الاحسان بالاحسان؛ طلبه سبحانه مقابلة احسان الوالدين بمثله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ [الإسراء من الآية ٢٣ الى الآية ٢٤] فاذا ما عاق الولد والديه فالجزاء يكون بالمثل في المستقبل على الغالب؛ لأن الابناء سيعقون آبائهم وهذا ما لمسنه في مجتمعنا ولا حاجة لذكر القصص والأمثال عليه لأنها كثيرة جدا.

٣- مقابلة الاساءة بالاحسان: وقد تسمو الأنفس العالية برد الاساءة بالحسنى؛ لأن هذا ما أوصى به الله ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون الآية ٩٦] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان الآية ٦٣] ومن مصاديق مقابلة الاساءة بالاحسان عفو يوسف عليه السلام عن اساءة اخوته ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف الآية ٩٢] كما ان لمقابلة الاساءة بالاحسان نتائج ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت الآية ٣٤] فعدم مقابلة الاساءة بالاساءة قد ينقلب الى محبة وصحبة، واعظم من تمثل بالصفح في هذه الدنيا الرسول الكريم ﷺ فقد صفح عن قريش التي أذاقته أشد العذاب فقد قال لهم حين دخل مكة منتصرا: (مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟) (قَالُوا: خَيْرًا أَخْ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ) (قَالَ: اذْهَبُوا فَانْتُمُ الطُّلَقَاءُ)^(٢) وقد وصف القرآن صفة العفو

(١) الامالي: ابو جعفر محمد بن علي الصدوق: (ص ٧٣٤)

(٢) السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: (٩/ ٢٠٠)

عند نبيه ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة الآية ١٥].

٤ - مقابلة الإحسان بالإساءة: وهي شيمة لمن لا وفاء له فسرعان ما ينسى أو يتناسى الفضل الذي قدم له أو أنه لا يريد أن يستقبل الاحسان بل يواجهه كل ذلك بالإساءة ، وهذا ما حدث مع الانبياء والاصياء فقد أفنوا حياتهم لأجل الامم فجازتهم بالإساءة ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس الآية ١٨] ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهُ يَنْنُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء الآية ١١٦] ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهُ يَلُوطْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء الآية ١٦٧] وكان اعتراض موسى عليه السلام على العبد الصالح حينما خرق السفينة من باب رد الاحسان وعدم مقابله بالسوء ﴿فَانْظِلْ فَا تَحْتَ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف الآية ٧١].

ارتباط الجزاء بالوقت

تكفل سبحانه بهداية الناس بكل الوسائل كإرسال الانبياء ، ووضوح طريق الحق بالفطرة الالهية ، كما أوجد سبحانه أوقاتا خاصة تكون الاجواء فيها روحانية يقبل فيها الانسان بجوارحه لله تعالى ، ومن تلك الأوقات شهر رمضان ففيه يحسن عمل الانسان فيجزيه سبحانه بالجزاء الحسن في الدنيا والاخرة ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة الآية ١٨٤] إنَّ الجزاء الرباني يشمل صحة الانسان حيث ثبت في الطب الحديث (لم يعد يعتبر الصيام مجرد عملية إرادية يجوز للإنسان ممارستها أو الامتناع عنها، فإنه وبعد الدراسات العلمية والأبحاث الدقيقة على جسم الإنسان ووظائفه الفسيولوجية ثبت أنَّ الصيام ظاهرة طبيعية يجب للجسم أن يمارسها حتى يتمكن من أداء وظائفه الحيوية بكفاءة، وأنَّه ضروري جدا لصحة الإنسان تماما كالأكل والتنفس والحركة والنوم، فكما يعاني الإنسان بل يمرض إذا حرم من النوم أو الطعام لفترات طويلة، فإنه كذلك لا بد أن يصاب بسوء في جسمه لو امتنع عن الصيام وورد في الحديث (قلت: يا رسول مرني

بعمل ينفعني الله به، (قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له) ^(١) وقال ﷺ (صوموا تصحوا) ^(٢) والسبب في أهمية الصيام للجسم هو أنه يساعده على القيام بعملية الهدم التي يتخلص فيها من الخلايا القديمة ، وكذلك الخلايا الزائدة عن حاجته، ونظام الصيام المتبع في الإسلام- والذي يشتمل على الأقل على أربع عشرة ساعة من الجوع والعطش ثم بضع ساعات إفطار- هو النظام المثالي لتنشيط عمليتي الهدم والبناء، وهذا عكس ما كان يتصوره الناس من أن الصيام يؤدي إلى الهزال والضعف، بشرط أن يكون الصيام بمعدل معقول كما هو في الإسلام، حيث يصوم المسلمون شهرا كاملا في السنة ويسن لهم بعد ذلك صيام ثلاثة أيام في كل شهر ، كما يقوم الصيام مقام مشروط الجراح الذي يزيل الخلايا التالفة والضعيفة من الجسم، فالجوع الذي يفرضه الصيام على الإنسان يحرك الأجهزة الداخلية لجسمه لاستهلاك الخلايا الضعيفة لمواجهة ذلك الجوع، فتتاح للجسم فرصة ذهبية كي يسترد عبرها حيويته ونشاطه، كما أنه يستهلك أيضا الأعضاء المريضة ويجدد خلاياها، وكذلك يكون الصيام وقاية للجسم من كثير من الزيادات الضارة مثل الحصوة والرواسب الكلسية والزوائد اللحمية والأكياس الدهنية وكذلك الأورام في بداية تكونها وغيرها من الفوائد الصحية ^(٣) كما شرع سبحانه الحج والعمرة التي حرّم بها على المحرم العديد من الاعمال ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة الآية ١٩٧] ولدخول الحاج او المعتمر لتلك الاماكن المقدسة هبة عظيمة عنده سرعان ما ينعكس كل ذلك في الاثار المتحققة ، فالمسلمون يكونون في تلك الحالة كالجسد الواحد الذي يهابه الاعداء وفيه صفاء لقلوبهم وتقارب بينهم وتعارف ، كما جعل سبحانه تحريما للقتال خاصا في الأشهر الحرم ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتِ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة الآية ١٩٤] وأثار تحريم ترك القتال في هذه الاشهر كفيل من تخفيف حدة المزاج العربي الميال للقتال.

(١) سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: (٤/ ١٦٥).

(٢) بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (٥٩/ ٢٦٧).

(٣) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.



ترتب الجزاء قبل حدوث العمل

اقتضت العدالة الالهية أن لا تترتب العقوبة والاثراً إلا بحدوث العمل ، أمّا الانسان فقد يرتب الأثر دون وقوع العمل ، هذا ما ذكره القرآن الكريم كقصة فرعون مع قومه فقد كان يوقع الجزاء بقتل الاطفال خوفاً من ولادة من يكون زوال ملكه على يده ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصاص الآية ٤] لهذا احتج موسى عليه السلام على فرعون عندما منّ عليه بتنشئته في بيته فرد موسى ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء الآية ٢٢] وهذا خلاف موقف الامام علي عليه السلام فبالرغم من معرفة قاتله لم يسعى للنيل منه ؛ وعندما سأله الامام الحسن عليه السلام عن سبب الاحسان لقاتله وعدم قتله أجاب إنّ اخلاقه لا ترضي ايقاع العقوبة والقصاص قبل وقوع العمل ، فقد ورد في الرواية إنّ الامام علي عليه السلام أخبر الامام الحسن بقرب استشهاده فقال الحسن عليه السلام : وهل تدري متى يكون ذلك يا أبت ؟ قال : يا بني إنّ الله يقول ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ﴾ [لقمان الآية ٣٤] ولكن عهد إلي حبيبي رسول الله ﷺ أنّه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان ، يقتلني ابن ملجم المرادي ، فقلت له : يا أبتاه، إذا علمت منه ذلك فاقتله ، قال : يا بني لا يجوز القصاص إلا بعد الجناية والجناية لم تحصل منه ، يا بني لو اجتمع الثقلان الإنس والجن على أن يدفعوا ذلك لما قدروا^(١).

تأثير أصحاب الاعمال الصالحة في اختراق القوانين الطبيعية

لا يقف أثر العمل الصالح على حدود محدودة ، بل قد يخترق القوانين الطبيعية الكونية التي لطالما خضعت لنظام دقيق أوجده سبحانه وتعالى فاذا ما تكامل ايمان الانسان وأخلص عمله لله تعالى ، ذلّل له سبحانه كل الصعوبات ، وخرق له كل القوانين فقد تهاوت تلك القوانين أمام من عنده علم من الكتاب ، فإذا هو يخترق قانون السرعة ويأتي بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف النبي سليمان عليه السلام ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [٢١] قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ

(١) بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (٢٧٩/٤٣)



رَبِّي لَيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ [النمل من الآية ٣٩ الى الآية ٤٠] ويمكننا القول أن الله سبحانه قد خرق القوانين الطبيعية للأنبياء كي يترتب على ذلك أثرا عظيما في هداية الناس، وقد أنعم سبحانه على أغلب الانبياء بهذه المعجزات ، وقد ذلّل سبحانه وتعالى لحبيبه ﷺ إسرائه الى السماء فطوى له سبحانه ملايين المسافات بلمحة بصر **﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ وَ مِنْ عَائِيَتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الإسراء الآية ١] وقد يجازي الله الانسان على إيمانه ؛ بأن يكون قادرا على التأثير على أمورالكون ولم لا حيث يكون يد الله وعين الله كما أخبر بذلك النبي صلوات الله عليه وعلى آله: (قال الله عز وجل : من أهان لي وليا فقد أَرُصد لمحاربتي وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبتة وإن سألني أعطيتة) ^(١) ، وامثلة ذلك كثير فقد رُدت الشمس غير مرة بعد مغيبها كي يصلي الامام علي ﷺ ^(٢) ، والمثال الثاني يوضح مدى تأثير الامام ﷺ على الارض فقد ورد في الرواية عن الزهراء عليها السلام (أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر ، ففزع الناس إلى أبي بكر وعمر ، فوجدوها قد خرجا فزعين إلى علي بن أبي طالب ﷺ ، فتبعهما الناس حتى انتهوا إلى باب علي ﷺ فخرج إليهم علي ﷺ غير مكترث لما هم فيه ، فمضى واتبعه الناس ، حتى انتهى إلى تلعة ، فقعد عليها وقعدوا حوله ، وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترتج جائية وذاهبة فقال لهم علي ﷺ : كأنكم قد هالكم ما ترون؟ قالوا: وكيف لا يهولنا ولم نر مثلها قط؟ قالت ﷺ : فحرك شفتيه ، ثم ضرب الأرض بيده ، ثم قال: مالك ؟ اسكني فسكنت ، فعجبوا من ذلك أكثر من تعجبهم أولا حيث خرج إليهم قال لهم : إنكم قد عجبتم من صنيعي ؟! قالوا : نعم قال: أنا الرجل الذي قال الله عز وجل: **﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ﴾** [الزلزلة من الآية ١ الى الآية ٣] فأنا الإنسان الذي أقول لها : ما لها **﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾** إياي تحدث ^(٣) كما طوى له سبحانه الارض الى المدائن فحضر دفن سلمان

(١) الكافي: ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني: (٣٥٢/٢).

(٢) بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (٢٩-٢١).

(٣) دلائل الامامة: محمد بن جرير الطبري: (ص ٩٧).



(رضوان الله عليه)^(١) ، وقد نالت الزهراء شرفاً عظيماً فقد كان لكلامها تأثيراً كونياً انعكس على جدران مسجد الرسول فقد ورد في الرواية عن الصادق عليه السلام أنه قال : لما استخرج أمير المؤمنين صلوات الله عليه من منزله ، خرجت فاطمة عليها السلام فبقيت هاشمية إلا خرجت معها حتى انتهت قريباً من القبر ، فقالت خلوا عن ابن عمي فوالذي بعث محمداً بالحق لئن لم تخلوا عنه لأنشرن شعري ، ولأضعن قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسي ، ولأصرخن إلى الله تبارك وتعالى ، فما ناقة صالح بأكرم على الله مني ، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي ، قال سلمان رضي الله عنه : كنت قريباً منها ، فرأيت والله أساس حيطان المسجد مسجداً رسول الله صلى الله عليه وآله تقلعت من أسفلها ، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ ، فدنوت منها فقلت يا سيدي ومولاي إن الله تبارك وتعالى بعث أباًك رحمة ، فلا تكوني نقمة ، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها ، فدخلت في خياشيمنا^(٢) وعلى هذا يمكننا القول أنّ بمستطاع الإنسان أن يكون له تأثير على مجريات الكون إذا ما كان عبداً خالصاً لله فقدر الإنسان عنده سبحانه هو ما يعمل به ويكسبه.

نماذج من الأعمال ذات التأثير الكبير في المجتمع

القرآن كتاب هداية نظم حياة المسلمين وأموارهم ؛ ليعيشوا تحت جناحه بأمان إذا ما عملوا به ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: مولاة الكفار ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال الآية ٧٣] أي: والذين كفروا بعضهم أولياء بعضهم في النصرة والتعاون على قتالكم وإيذائكم - أيها المؤمنون - فهم وإن اختلفوا فيما بينهم إلا أنهم يتفقون على عداوتكم وإنزال الأضرار بكم. وقوله: إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ تحذير شديد للمؤمنين عن مخالفة أمره - سبحانه - أي: إلا تفعلوا - أيها المؤمنون - ما أمرتكم به من التناصر والتواصل وتولي بعضكم بعضاً، ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار، تحصل فتنة كبيرة في الأرض، ومفسدة شديدة فيها؛ لأنكم إذا لم تصيروا يداً واحدة

(١) ينظر: الثاقب في المناقب : ابن حمزة الطوسي: (ص ١٨٦) وبحار الانوار: محمد باقر المجلسي:

(٢٢/ ٣٦٨)

(٢) بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (٢٠٦/ ٢٦)

على الشرك، يضعف شأنكم، وتذهب ريحكم، وتسفك دماؤكم ويتناول أعداؤكم عليكم، وتصيرون عاجزين عن الدفاع عن دينكم وعرضكم وبذلك تعم الفتنة، وينتشر الفساد^(١).

ثانيا: كما أمر سبحانه بأن يأخذ الناس دورهم في اصلاح ذات البين سواء كان على صعيد الافراد أو الجماعات أو الدول الاسلامية كي يعيش الناس في امن وامان ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات الآية ٩].

ثالثا: كما أشار القرآن الى أهم الأمور التي يكون تأثيرها وخيما إن لم تعالج بحكمة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الَّتِي نَمَسِي فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَلِيٍّ وَثَلَاثٌ وَرُبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء الآية ٣] يمكننا القول أن الآية المباركة أشارت إلى موضوعين : أولهما : ضرورة الاهتمام باليتامى ليكونوا عنصرا فاعلا في بناء المجتمع لا هدمه ، وثانيهما : موضوع تعدد الزوجات، ففي بعض الظروف التي تمر بها المجتمعات هناك افرزات في زيادة عدد الارامل والمطلقات، فإن لم تعالج هذه المشكلة كان لها أثرا سلبيا؛ لذا أباح الاسلام وحفاظا على كرامة المرأة الزواج بأكثر من واحدة مع مراعاة العدالة في المعاملة.

أثر صلاح ولي الامر في قيادة الامة

يعتقد البعض إن المؤمن الملتزم لا يستطيع أن يتولى قيادة الامة فلطالما رفع أعداء الدين شعار (فصل الدين عن السياسة) ليسيحوا لأنفسهم عمل كل شيء ، فمن يتسلم قيادة الامة لا بد له من أن يظلم ويسلب الحقوق ويكذب... فكل الاعمال مباحة في العمل السياسي وهذا خلاف الرؤية القرآنية التي أكدت أنه لا تعارض بين قيادة الامة وانحراف الشخص، بالعكس فصلاح القائد ضمان لأن تعيش الامة في رخاء وهناء ، ومن الأمثلة التي ذكرها القرآن: تمكن الله سبحانه لذي القرنين مشارق الارض ومغاربها ليحكمها بما أراد سبحانه ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف الآية ٨٤] وكان يسير في حكمه وفقا للقواعد الربانية ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ

عَذَابًا تُكْرَهُ ۝ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝ [الكهف من الآية ٨٧ الى الآية ٨٨] وكذلك نجح طالوت بقيادة بني اسرائيل رغم كونه غير نبي فامكانته العلمية وایمانه وصلاحه أمور امتدحها القرآن ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة الآية ٢٤٧] كما اكد القرآن على أنّ ممثل السماء قادر على قيادة الأمة فكان داوود وسليمان ملوكا لبني اسرائيل ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة الآية ٢٥١] وقد استجاب سبحانه لدعاء سليمان فكان ملكه عظيم ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص الآية ٣٥] وبفضل صبر يوسف وایمانه وتحمله أذى أخوته وأمرأة عزيز مصر نال شرف الدرجات العليا في حكومة مصر ﴿قَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ ۚ أَسْتَخْلِصُكَ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف الآية ٥٤] وهكذا فلا تعارض بين عمل الانسان وتولي القيادة في الامّة ، بل على العكس سينعكس أثر هذه القيادة خيرا عليها كما حدث ذلك مع قيادة النبي محمد ﷺ ، وقيادة علي عليه السلام وكما سيحدث الاثر العظيم عندما يتولى الامام المهدي عليه السلام زمام الأمور عندها تشرق نور العدالة.

عواقب الاعمال

على الانسان أن يبقى حذر طوال حياة ، وأن يكون مستعدا لكل بلاء وامتحان يمر به ، فقد يفني حياته بالعبادة وتكون عاقبته النار قال النبي ﷺ (لا يغرنكم صلاتكم وصيامكم وعبادتكم السالفة ، إنّها لا تنفعكم إنّ خالفتم العهد والميثاق فمن وفي وفي له ، وتفضل بالإفضال عليه ، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه ، والله ولي الانتقام منه ، وإنّما الأعمال بخواتيمها) ^(١) وخير مثال ذكره القرآن بلعم بن باعوراء ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ [الأعراف الآية ١٧٥] وبالمقابل قد يقضي الانسان حياة في وديان الضلالة ، فاذا بلمحة مضيئة تغير حاله من الضلالة إلى الايمان ، وقد قصّ لنا القرآن العاقبة الحسنة للسحرة بعدما كانوا غارقين في الدنيا ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِينَ﴾ [الأعراف الآية ١١٣] ثم ذكر لنا

(١) تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام: الامام العسكري عليه السلام : (ص ٤٦٥)

سبحانه العدول عن جادة السوء إلى طريق الحق بيقين راسخ ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾^(١٢٠) **قَالُوا عَامِتًا رَبِّ الْعَالَمِينَ** ^(١٢١) **رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ** ^(١٢٢) [الأعراف من الآية ١٢٠ إلى الآية ١٢٢] وبين سبحانه مدى تضحيتهم من أجل هذه العقيدة ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلَفَ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ^(١٢٣) **قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ** ^(١٢٤) **وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ عَامِتًا بَيَّأْتِ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ** ^(١٢٥) [الأعراف من الآية ١٢٤ إلى الآية ١٢٦] ويروي لنا التاريخ كوكبة من أنصار الامام الحسين عليه السلام أفلحوا وانضموا لمعسكره بعدما كانوا في معسكر الغواية ومنهم الحر بن يزيد الرياحي ، حيث انقلب على الشيطان في آخر اللحظات جاء في الرواية : (فضرب الحر بن يزيد فرسه وجاز عسكر عمر بن سعد إلى عسكر الحسين عليه السلام واضعا يده على رأسه ، وهو يقول : اللهم إليك أنيب فتب علي ، فقد أربعت قلوب أوليائك وأولاد نبيك يا بن رسول الله هل لي من توبة؟ قال : نعم تاب الله عليك قال : يا بن رسول الله ، أتأذن لي فأقاتل عنك؟ فأذن له ، فقتل منهم ثمانية عشر رجلا ثم قُتل) ^(١) كما التحق زهير بن القين بعدما كان مخالفا لآل البيت بركب الامام الحسين ونال شرف الشهادة بين يدي الامام ^(٢).

العمل وبناء المجتمع

أسس الاسلام نظاما اجتماعيا تسوده المثل والقيم الانسانية ، حيث يضمن للأفراد العيش الرغيد في أمن وأمان ، فاذا أنعمنا النظر في القرآن الكريم نجد يرسم سياسة الفرد والمجتمع في التعايش السلمي بين أعضائه ، وإن الآيات المباركات تطرقت لأمر دقيقة من شأنها أن تبني مجتمعا صالحا ؛ فآية واحدة تطرقت لأعمال عديدة كفيلة أن تكون نظاما اجتماعيا يحتذى به ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات الآية ١٢] فاذا خلى المجتمع من التجسس والغيبة والظن السيء ، بُنيت جسور من الثقة بين أعضاء المجتمع ونجد في آية اخرى أعمالا ترتقي بالمجتمع ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ



(١) الامالي: ابو جعفر محمد بن علي الصدوق: (ص ٢٣٣)

(٢) ينظر: بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (٤٤ / ٣٧١)

أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الحجرات الآية ١١] ونجد القرآن الكريم يصف أدق تفاصيل الحجاب المفروض على المرأة كي تجنب انزلاق المجتمع في أعمال الرذيلة ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور الآية ٣١] كما تطرق القرآن للجانب الاقتصادي كي يمحو الطبقة الاجتماعية التي كانت سائدة ، وفرض الزكاة والكفارات المالية فإذا بادر الفرد بالعمل اقتطع جزء من ماله لتحقيق التقارب بينه وبين غيره لتزول الضغائن والاحقاد ولا يسلك الفقير طريق السرقة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة الآية ١١٠].

المبحث الثاني : الانحراف والعذاب

جزاء الامة والفرد

إنَّ انحراف الأمة عن طريق الله سبحانه ، وارتكاب المعاصي يؤدي الى أن يكون الجزاء الالهي مناسباً لفاحشة تلك الأمة ﴿فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۖ﴾ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر من الآية ١٢ الى الآية ١٣] وقد ذكر سبحانه في القرآن أنواع من العقاب النازل في تلك الامة ﴿فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبا الآية ١٦] فالاعراض عن ذكر الله ناسبه من العقاب تدمير كل ما كان من شأنه أن يكون سبباً لإعراض الناس عن ذكر ربهم فالجنان أصبحت عبارة عن بعض الأشجار من الأثل والسدر ، ومن آثار العمل الطالح جعل سبحانه مردود تلك الاشجار قليل كما عبر سبحانه في الآية السابقة ، أمّا



قوم عاد فكان جزائهم الريح المدمرة التي ظنوا إنها تحمل لهم المطر ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا أَسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٣﴾ تَذَمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ٢٤﴾ [الأحقاف من الآية ٢٤ الى الآية ٢٥] فالجزاء الإلهي أصابهم كأمة كاملة حين جاء أجلها ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف الآية ٣٤] نلاحظ من الآية المباركة (أنَّ الاجل أضيف الى الامة الى الوجود المجموعي للناس لا إلى هذا الفرد أو ذاك الفرد بالذات ، اذن هناك وراء الأجل المحدود المحتوم لكل انسان بوصفه الفردي ؛ أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي للأفراد، وللامة بوصفها مجتمعا تحت خيمته ينشئ ما بين أفرادها العلاقات والصلات القائمة على أساس مجموعة من الافكار والمبادئ المستندة بمجموعة من القوى والقابليات ، وهذا المجتمع الذي يعبر القرآن الكريم بالامة له أجل ، وله موت ، وله حياة كما أنَّ الفرد يتحرك فيكون حيا ثم يموت كذلك الامة تكون حية ثم تموت ، وكما أنَّ موت الفرد يخضع لأجل ولقانون كذلك الأمم أيضا لها أجلها المضبوطة وقوانينها^(١) ويمكننا القول أنَّ آجال الأمم تتنوع من قرية لأخرى حسب ما يسود في الامة من عمل فتارة يكون العذاب بالصيحة ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [هود الآية ٦٧] وتارة يكون العذاب بالريح الباردة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [فصلت الآية ١٦] واخرى بالمطر ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت الآية ١٤] ومرة اخرى بمطر من حجارة ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف الآية ٨٤] والصاعقة حينما آخر ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الذاريات الآية ٤٤] واختار سبحانه الرجفة لامة أخرى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [الأعراف الآية ٧٨] وقد يكون الجزاء على يد الحيوانات كالطير ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ٤﴾ [الفيل من الآية ٣ الى الآية ٤] وقد ينال الجزاء أفراد مقصودين يكون لبعضهم



شأن في أمته فيغويهم الشيطان فيكون عذابه خاصا به بعيدا عن الأمة التي ينتمي لها؛ لذلك ذكرهم القرآن الكريم والامثلة كثيرة منها:

أولا : قارون ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [الفَصَص الآية ٧٦] عندما اغتر قارون بأمواله وابتعد عن طريق الحق وأصبح فتنة لبني اسرائيل نال الجزاء المناسب فطمس الله به وبأمواله وبهذا الجزاء فهم بنو اسرائيل حقيقة الأمر ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئِنَّا اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئِنَّا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [الفَصَص الآية ٨٢].

ثانيا : السامري ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه الآية ٨٧] كَانَ السَّامِرِيُّ مِنْ عِظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنْ قَبِيلَةِ يُقَالَ لَهَا: سَامِرَةٌ، وَلَكِنْ نَافَقَ بَعْدَمَا قَطَعَ الْبَحْرَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقِيلَ كَانَ رَجُلًا صَائِغًا مِنْ أَهْلِ بَاجِرٍ وَاسْمُهُ مِيخَا- وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: اسْمُهُ مُوسَى بْنُ ظَفَرٍ، ^(١) وَمِنْ أَهَمِّ الْفِتَنِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ عَلَى يَدِهِ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه الآية ٨٨] والظاهر من آيات القرآن الكريم أَنَّ هناك أَمْرَانِ تَعَاضِدَا ؛ لِيَقَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ أُولَهُمَا الْمَصُوغَاتُ الذَّهَبِيَّةُ الَّتِي اخَذَتْ مِنْ أَصْحَابِهَا كَمَا أَشَارَتْ الْآيَةُ ٨٧ مِنْ سُورَةِ طه ، وَالْأَمْرُ الْآخَرُ ظُهُورُ الْوَجْهِ الْحَقِيقِيِّ لِلْسَّامِرِيِّ وَفِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ أَيْضًا نَالُ السَّامِرِيِّ وَحْدَهُ الْعَذَابُ ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه الآية ٩٧] فَكَانَ جَزَاءُهُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ الْأَوَّلُ ، وَالثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَفِيهِ وَجُوهٌ هِيَ : أَنِّي لَا أَمْسُ وَلَا أَمْسُ وَقَالُوا : وَإِذَا مَسَّهُ أَحَدُ حُمِّ الْمَاسِ وَالْمَسُوسِ فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَمَسَّهُ صَاحٌ خَوْفًا مِنْ الْحُمِّ وَقَالَ لَا مِسَاسَ وَمِنْهَا : لَا مِسَاسَ الْمُنْعِ مِنْ أَنْ يُحَالِطَ أَحَدًا أَوْ يُحَالِطَهُ أَحَدٌ كَمَا جُوزِيَ

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: (١/ ١٩٤) و تفسير القرآن العزيز : ابن أبي زمنين : (٣/ ١٢٥)



بأن يرى ما بذل كل جهد فيه يحرق ويذرى في البحر أما عذاب الآخرة فقد توعد سبحانه لا خلف فيه ^(١).

ثالثا: بلعم بن باعوراء ﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف الآية ١٧٥] هو عالم من علماء بني إسرائيل. وقيل: من الكنعانيين، اسمه بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله فأنسلخ منها ومن الآيات، بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له وقيل أكرمناه باسم الله الأعظم ويقال: آتيناه آياتنا يعني: الكتاب وهي علم التوراة وما معه من العلم والمكانة في بني اسرائيل إلا أنه استسلم للإغراءات، ورغب بالمال فرضخ أمام تلك الرغبات، فعاقبه الله سبحانه جزاء لعمله الذي عمله عن علم بأن نزع عنه الاسم الاعظم والعلم ^(٢)، ويمكننا القول أن الله فضحه في القرآن على مر التاريخ ونعته بأسوء النعوت فقد شبهه الله تعالى بالكلب، وقد أوردت كتب التفسير أن بني اسرائيل الذين انزلقوا تبعوا لأوامرته عاقبهم الله بالتيه بما فيهم موسى عليه السلام عندها دعا موسى عليه، فناله ما ناله من الجزاء ويتضح لنا من ذلك أن العالم إذا انحرف عن طريق الحق، فان مكانته عند الله والناس لا تشفع له بل تكون وبالا عليه؛ لما له من العلم ويكون جزاءه مضاعف بل يفضحه سبحانه وتعالى على مر الاجيال.

رابعا: صاحب البستان ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف الآية ٣٢] فبعد النعمة العظيمة التي من الله بها عليه تبطر ونسى فضل الله عليه ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۖ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ﴾ [الكهف من الآية ٣٥ الى الآية ٣٧] ويمكننا القول هذا الرجل ارتكب ثلاثة أمور: أولها أنه نسى قدرة الله فقال ﴿أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وثانيهما: كفر باليوم الآخر ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ وثالثهما: شك في عدالة الله وقرر بنفسه الجزاء

(١) التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي: (٢٢ / ٩٦)

(٢) ينظر: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي : (١ / ٥٦٦) والكشاف عن حقائق

غوامض التنزيل: محمود بن عمرو الزمخشري: (٢ / ١٧٨)



الآخروي ﴿وَلَيْن رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ ثم أنّه نسي ذكر الله ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف الآية ٣٩] فكان جزاءه أن يذهب الله بما أنعم عليه بسبب غروره وكفره كي يرجع إلى كامل وعية ﴿وَأُحِيط بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [٤٢] وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ [الكهف من الآية ٤٢ إلى الآية ٤٣] والملاحظ من الآيات الكريمة أن الجزاء لم يصبه بنفسه ، بل نزل العذاب على البساتين، لأنّ الهدف الإلهي من نزول العذاب هو الاصلاح ؛وبما إنّ زوال البساتين قادر على ارجاع هذا الشخص لربه اقتضت الحكمة ذلك ؛ ولكي يكون موعظة وعبرة عبر التاريخ.

خامسا : أصحاب البستان ﴿بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم الآية ١٧] ذكر أهل التفسير أنّ رجلاً كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمناً ، وكان يأخذ منه قدر قوته، وكان يتصدق بالباقي. وقيل: كان يترك للمساكين ما تعدّاه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وما ينتثر عند الدّباس، فكان يجتمع من هذا شيء كثير، فمات الرجل عن ثلاثة بنين، فقالوا: والله إنّ المال لقليل، وإنّ العيال لكثير، وإنّما كان أبونا يفعل هذا إذ كان المال كثيراً، والعيال قليلاً، وأمّا الآن فلا نستطيع أن نفعل هذا ، فعزموا على حرمان المساكين، وتحالفوا بينهم ليغدون قبل خروج الناس، فليصرمّن نخلهم،^(١) يتضح لنا من الآيات المباركة أنّ الاب الصالح عندما كان يتصدق على الفقراء فإنّ الله سبحانه أجزل له في العطاء وهذا واضح من الآية المباركة التي وصفت البستان بالجنة ، أمّا عندما ورث أبناءه الجنة وتغيرت نواياهم ونسوا ذكر الله وتعاهدوا على منع الصدقة للفقراء فإنّ الجزاء كان ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ [القلم من الآية ١٩ الى الآية ٢٠] احترقت البستان ولم يصيبوا شيئاً منها وهذا الجزاء الالهي كان له الاثر العظيم في ندمهم ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٢١﴾ [القلم من الآية ٢٩ الى الآية ٣٠] فرجعوا الى طريق الحق وطلبوا من الله سبحانه اصلاح حالهم وارجاع جنتهم ﴿عَسَى رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا

(١) زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج الجوزي: (٤ / ٣٢٣).

إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ [القلم الآية ٣٢] ومع أنَّ القرآن الكريم لم يذكر ما حدث بعد ذلك إلاَّ إننا نجزم بأنَّ الله سبحانه وتبعاً لعدله في الجزاء قد تاب عليهم وأصلح حالهم؛ لأنهم رجعوا إليه سبحانه وقد اشارت بعض المصادر الى هذا الراي^(١).

سادسا: مؤمن آل فرعون ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر الآية ٣٤] ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر من الآية ٣٨ الى الآية ٣٩] بعد أن عرضنا أمثلة لعواقب أمور المنحرفين فلا بد لنا أن نذكر مثال للمؤمنين وخير مثال على ذلك مؤمن آل فرعون الذي كان بين ظهرائهم ، وكان ينصر موسى ﷺ ويدعوهم للحق ، وقد صرح علانية برفضه للشرك بالله فجزاه الله سبحانه بأمرين : أولهما : الذكر الطيب على مر التاريخ ، ثانيهما : أن حفظه الله تعالى من مكرهم فلم يصبه شيء من أذاهم ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر الآية ٤٥] يتضح لنا من ذلك إنَّ استقامة الانسان في المجتمع المشحون بالانحراف بكل مستوياته ، لا يكون مسؤولاً عن انحراف المجتمع إذا أدى دوره في المجتمع ، ووقف بوجه الظالم فكلمة الحق عند السلطان الجائر من أعظم الجهاد قال النبي ﷺ : «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةً عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(٢) لأنَّ السلطان الجائر لا يجروا أحد على نصحه فكل الناس تنابه من جهة ، ومن جهة أخرى فإنَّ القتل لا محالة واقع به ، وهذا ما وقع فعلا في مثالنا الثاني للصالحين فقد قتل فرعون زوجته الصالحة اسيا بنت مزاحم التي آمنت بموسى ووقفت مع الحق فجزاها الله في الدنيا بالذكر الحسن وأراها مسكنها في الجنة ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم

الآية ١١] في الحالة الأولى اقتضت حكمة الله أن ينجي مؤمن آل فرعون ، وفي الحالة الثانية اقتضت الحكمة أن يقبل سبحانه وتعالى تضحية اسيا بنت مزاحم بنفسها ؛ فمن لأجل

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: (١٠ / ١٨) وزاد المسير ابو الفرج الجوزي: (٤ / ٣٢٤)

(٢) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: (٤ / ٤٧١)



الدين يُرخص المؤمن نفسه حيث تكون لهذه التضحية أثرا في تربية المجتمع.

مستويات الجزاء وفقا لأعمال الناس

إذا تدبرنا الآيات المباركات يظهر لنا مستويات لنزول العذاب تتناسب مع نوع العمل هي :

المستوى الاول: نزول العذاب مع عدم اهلاك الناس كعذاب قوم فرعون فقد ذاقوا ألوان من العذاب دون هلاكهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف الآية ١٣٣] وعند نزول العقاب على فرعون أغرق هو ومؤسسته العسكرية ولم ينزل الهلاك على الناس.

المستوى الثاني: الجزاء ينال أمة واحدة بأسرها دون غيرها ، وقد قصّ علينا القرآن أمثلة عديدة على هذا المستوى فكل أمة تنحرف عن جادة الصواب وعبادة ربها نزل عليها عذاب الاستئصال ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود الآية ١٠٢].

المستوى الثالث: استمرار أيام العذاب على الأمم ، ثم استئصالها نكالا لها وذلك تبعا لنوع المعصية أو لمقابلتهم نعم الله بالجحود فكانت العقوبة مستمرة ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِّيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة الآية ٧].

المستوى الرابع: نزول العذاب على أمة معينة خاصة بعدما اقترفت أشنع الرذائل (اللواط)، مع الشرك بالله فكان العقاب ملائم لهذه المعصية لم يكتف الله سبحانه بإنزال الحجارة بل قلب سبحانه قراهم عاليها سافلها كي لا تشرق الشمس على تلك الأرض التي ارتكب على ظهرها تلك المعصية ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ [هود الآية ٨٢].

المستوى الخامس: وهو أشد أنواع الجزاء الالهي فإذا عصى الانسان ربه وتمادى في عصيانه وكفره ، وتوارث ذلك الأجيال جيل بعد جيل جازاهم رب العالمين بعقوبة عظيمة فقد أغرق سبحانه الأرض برمتها ، وقد تجاوز العذاب حدود تلك الأمة فاهلك كل شيء

حتى النبات والحيوان فقد بلغ الماء قمم الجبال ﴿قَالَ سَاءَ أَوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾
 قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿هُود الآية ٤٣﴾.

ارتباط الجزاء بعمل بالفرد

كل نفس تنال جزاء أعمالها يوم القيامة ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المذثر
 الآية ٣٨] ولا يغني عمل انسان انسانا آخر في الدنيا والاخرة ، وإن كان من ذوي القربى
 وقد قص علينا القرآن أن نزول العذاب يشمل العصاة وإن كانوا من آل الانبياء حتى أن
 نوح عليه السلام سأل ربه نجاة ابنه فكان رده سبحانه ﴿نَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ
 أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ [٤٥] قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ
 إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ [هُود من الآية ٤٥ الى الآية ٤٦] ولم يترتب أي أثر لقرابة زوجة نوح ولوط
 عليهما السلام في استثنائهما من العذاب ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحَ
 وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ
 اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ [التحریم الآية ١٠].

الجزاء الجماعي

سكوت الأمة على الظلم وشيوع الفساد في المجتمع يترتب عليه أثر هو شمولهم في
 العذاب؛ لذا وجب على المصلحين الاتقياء القيام بدورهم في اصلاح مجتمعهم فإذا تقاعسوا
 ولم ينعكس صلاحهم على المجتمع فليستعدوا للعذاب ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال الآية ٢٥] تتحدث الآية
 عن عقاب دنيوي لا عقاب أخروي ، تتحدث عن النتيجة الطبيعية لما تكسبه أمة من طريق
 الظلم والطغيان هذه النتيجة الطبيعية لا تخص حيثئذ بخصوص الظالمين من أبناء الامة ،
 بل تعم أبناء المجتمع على اختلاف هوياتهم وسلوكهم فقد شمل التيه أربعين سنة أظهر
 الناس وأزكاهم وأشجعهم في مواجهة الظلمة والطواغيت شمل موسى عليه السلام لأنه جزء من
 الامة. (١)

(١) السنن التاريخية في القرآن: محمد باقر الصدر: (ص ٥٧)



أسباب العذاب الجماعي للأمم

يمكننا أن نستنتج من الآيات المباركة التي تحدثت عن عقاب الاستئصال للأمم أسباب شمول الأبرياء كالأطفال وغير المكلفين بالعذاب :

اولا: إن المجتمع سائر الى الانحراف الاخلاقي والابتعاد عن عبادة الله فكان الأولى تطهير الأرض ؛ لأن الأجيال تتعاقب على الانحراف لذا علل نوح عليه السلام ذلك في الآية المباركة ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَاسِرًا ۙ أَفَأَعَذِّبُنِي فِي الْآيَةِ ۚ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝﴾ [نوح من الآية ٢٦ الى الآية ٢٧] وهذا ما دعا العبد الصالح لقتل الغلام لأن النتيجة كانت واضحة فعمله المستقبلي ذو نتائج وخيمة فقد علل ذلك في الآية ﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝﴾ [الكهف من الآية ٨٠ الى الآية ٨١].

ثانيا: على كل مصلح بذل جهده في اصلاح مجتمعه وهذا ديدن الانبياء ﴿قَالَ يَفْقَوْمَ اٰرَعَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَرَزَقْنِيْ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا اُرِيْدُ اَنْ اُخَالِفَكُمْ اِلٰى مَا اَنْهٰكُمْ عَنْهُ اِنْ اُرِيْدُ اِلَّا الْاِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود الآية ٨٨] فكل فرد في المجتمع عليه دور ومسؤولية في اصلاحه ، عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ»^(١) وقد تكون الفتنة أن يسلم الله على الناس حاكم جائر يذيق الناس ألوان من العذاب ، قال النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّهُ قَالَ: (لَتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْتَهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَسْلُطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شُرَكَاءَ فَيَدْعُوْا خِيَارَكُمْ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ)^(٢) فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يناسبه من الجزاء تسليط الطغاة والفجرة على رقاب الناس ومقدراتهم؛ ليكونوا قادة لهذه الأمة الميتة التي لا تستجيب لدعوة الانبياء و المصلحين أو أن يسلم الله سبحانه على الأمة بعد اعراضها عن الله سبحانه أكابر مترفيها فيزدادوا في ظلمهم وفسادهم فيذيقوا الناس أشد العذاب ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء الآية ١٦] وقد أشارت السيدة الزهراء عليها السلام الى

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري: (١/ ٦٩)

(٢) البحر الزخار أبو بكر أحمد بن عمرو البزاز: (١٥/ ١٦٣)



هذا المعنى في خطبتها (الفدكية)^(١) عندما انقلبت أمة النبي ﷺ على أعقابها فعصت الأمة أمر ربها وتركت وصية نبيها فلم ترد من القيام بواجبها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لذا حذرهم من الأثر الذي سيحل بهم نتيجة هذا الخذلان بأن يملك رقابهم الطغاة الذين يذيقوهم أشد العذاب ؛ (أما لعمرى لقد لقحت فنظرت ريثما تنتج ثم احتلبوا ملء العقب دما عبيطا وذعافا واطمئنوا للفتنة جأشاً وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وبهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيدا وجمعكم حصيدا فيا حسرة لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون) فالتخلف عن ركب الحق مع علي وفاطمة عليه السلام يكون أثره في المجتمع وقع عظيم فسينزف الدم من الفتن ويضيع الحرث والنسل بعد استعلاء الظلمة على الأمة ، وما أشبه هذا الموقف بموقف الامام الحسين عليه السلام حينما رأى المجتمع في انهيار ، فقد خرج مصلحا معلنا كلمة الحق في وجه الظالم وعندما لم يجد له آذان صاغية ، وعندما روت دماء أصحابه وأهله الأرض حذرهم من الجزاء الرباني في الدنيا قبل الآخرة ؛ حيث يترتب على عملهم الشنيع تولي الظلمة الذين سينال ظلمهم الأمة بأسرها وبانتشار القحط فقال عليه السلام لهم (ألا ثم لا تلبثون بعدها إلا كريثا يركب الفرس ، حتى تدور بكم الرحى اللهم أحبس عنهم قطر السماء ، وابعث عليهم سنين كسني يوسف ، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبرة ، ولا يدع فيهم أحدا إلا قتلة بقتلة ، وضربة بضربة ، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم ، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا)^(٢) . فمعنى الدين أن ينزل المتدين إلى ساحة المواجهة لإصلاح مجتمعه لا أن ينزوي في مغارة يتعبد فيها ويتعد عن مسؤوليته ، وإذا انعزل وترك الأمة في ظلالة وجهالة استحق العقاب معهم .

ثالثا: يجب علينا أن نسلم لأمر الله تعالى فإذا نزل العذاب وشمل الكل ، فإن في ذلك حكمة ربانية قد لا نعلمها نحن بل يكفيننا أن نسلم بأن الله تعالى حكيم لا يظلم مثقال ذرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء الآية ٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس الآية ٤٤].

(١) معاني الاخبار: ابو جعفر محمد بن علي الصدوق: (٢٩/٢١٦)

(٢) بحار الانوار: العلامة محمد باقر المجلسي: (٤٥/٩)

تناسب عمل المعصوم مع الجزاء

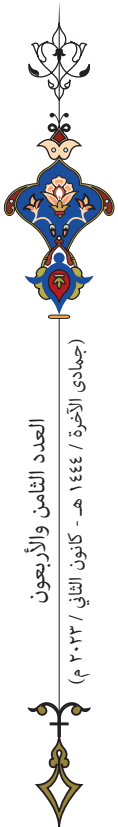
الانبياء معصومون من الخطأ والزلل ، وقد يجازي سبحانه بعض أنبيائه عندما يقعون في مورد ترك الأولى جزاء على ذلك المورد البسيط والأمثلة هي:

الاول: الجزاء الذي أنزله سبحانه على نبيه يونس عليه السلام عندما خرج مغاضبا ﴿ذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء الآية ٨٧] فكان جزاءه ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات الآية ١٤٢] فكان جزاء يونس عظيم جدا فقد سجن بأغرب سجن وجد على الأرض سجن في بطن الحوت تحت الماء وهذا يناسب أي زلة من باب ترك الأولى للمعصوم.

ثانيا: يعقوب عليه السلام ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف الآية ٥] روى ابو حمزة: قلت لعل بن الحسين عليه السلام: متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال: في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وولده شباعا، وبات فيها ذميال جائعا رآها فأصبح فقصها على يعقوب من الغد فاغتم يعقوب لما سمع من يوسف الرؤيا مع ما أوحى الله اليه أن استعد للبلاء، فقال ليوسف: لا تقصص رؤياك هذه على أخوتك فإني أخاف أن يكيدوك، فلم يكتف يوسف برؤياه وقصها على أخوته، فقال على بن الحسين عليه السلام فكان أول بلوى نزلت بيعقوب وآله ، الحسد ليوسف لما سمعوا منه الرؤيا التي رآها، قال: واشتدت رقة يعقوب على يوسف وخاف أن يكون ما أوحى الله إليه من الاستعداد للبلاء إنما ذلك في يوسف فاشتدت رفته عليه، وخاف أن ينزل به البلاء في يوسف من بين ولده فلما أن رأوا أخوة يوسف ما يصنع يعقوب بيوسف من اكرامه وإيثاره إياه عليهم اشتد ذلك عليهم، وأبتدئ البلاء فيهم، فتأمروا فيما بينهم ^(١) فرد يعقوب عليه السلام الفقير الجائع ناسبه من الجزاء العظيم فراقه ليوسف سنين طوال.

ثالثا: يوسف ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَلَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف الآية ٤٢] عن طربال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أمر الملك بحبس يوسف في السجن ألهمه الله علم تأويل الرؤيا، فكان يعبر لأهل السجن رؤياهم وإن فتين أدخلا معه السجن يوم حبسه، فلما باتا أصبحا فقالا

(١) بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (١٢/ ٢٧١-٢٧٢)



له: إِنَّا رَأَيْنَا رُؤْيَا فَعْبَرَهَا لَنَا، فقال: و ما رأيتهما؟ فقال أحدهما: (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه) وقال الآخر: إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّ اسْقَى الْمَلِكُ خَمْراً ففَسَّرَ لَهَا رُؤْيَاهُمَا عَلَى مَا فِي الْكِتَابِ، ثم قال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك، قال: ولم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه فلذلك قال الله: (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) قال: فأوحى الله إلى يوسف في ساعته تلك: يا يوسف من أراك الرؤيا التي رأيتهما؟ فقال: أنت يا ربى، قال: فمن حببك إلى إبيك؟ قال: أنت يا ربى قال فمن وجه السيارة اليك؟ فقال: انت يا ربى، قال: فمن علمك الدعاء الذي دعوت به حتى جعل لك من الحب فرجاً؟ قال: أنت يا ربى... قال: فكيف استغثت بغيرى ولم تستغث بي وتسالني أن أخرجك من السجن، واستغثت وأملت عبداً من عبادي ليزدرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي ولم تفزع إلي؟ البث في السجن بذنبك بضع سنين بإرسالك عبداً إلى عبد^(١).

اثر الغفلة عن ذكر الله وجزاؤها

المتمعن في آيات الذكر الحكيم يجد أنها رتبت جزاء عظيماً عند ذكر الله وتسييحه أو شكره واستغفاره ، وغيرها من الاذكار فهل مجرد تلك الاذكار كافية في ترتيب الأثر ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [الْقَلَمُ الْآيَة ٢٨] ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَّا وَوَلَدًا﴾ [الكهف الآية ٣٩] الآيتان تتحدثان عن دخول البسائين التي وصفها الله سبحانه بأثما جنات ، ويمكننا القول أنه كان الأجدر بأصحابها اعترافا منهم بفضل الله عليهم أن يذكروا الله بألستهم ، وترجمة ذلك الذكر بواقع عملي ففي الآية الأولى نصح الأخ الاوسط أخوته بتسييح الله تعالى وكان المورد في الحادثة ، أنهم أرادوا منع الفقراء من الصدقة فقد أراد منهم العودة الى الله وتنزيهه وذكر نعمته ، وأنه هو الذي يتفضل عليهم بالرزق وقد طلب منهم أن يعطوا الصدقة ، أمّا الآية الثانية فقد طلب الصديق المؤمن من صاحبه (الذي انكر نعمة الله عليه وجره الطغيان الى انكار وجود الله وعلى فرض وجوده فإن له عنده مكانه مرموقة كمكاته في الدنيا) طالبه بأن يدخل الى بسائينه ذاكر الله معترفا بقدرة الله التي بها نال كل تلك الخيرات وفي كلتا الآيتين لم يرفع عوي الطغاة لكلام الحق فنالهم الجزاء بسلب هذه النعم ، فأصبحت تلك البسائين أراضى

(١) ينظر: تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي: (١/١٧٧).

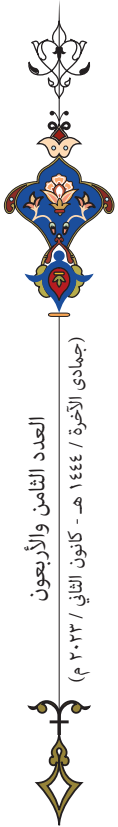


جرداء ، وأما نوح النبي ﷺ فقد طلب من قومه الاستغفار ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُوَ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝﴾ [نوح من الآية ١٠ الى الآية ١١] دعا نوح قومه لعبادة الله سبحانه لكنهم أبو الايمان وأصروا على الكفروما تتحدث عنه الآية من طلب الاستغفار منهم فهو مقرون بالايان به تعالى فلا معنى للاستغفار دون الايمان به وترجمة ذلك الى عبادة وعمل بدليل ربطه تعالى في آية الاستغفار بالتوبة ﴿وَيَقُومُوا لِرَبِّكُمْ ثُمَّ ثُبُوءًا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود الآية ٥٢] لذلك فكل ذكر لله تعالى يصدر من دون ايمان به لا يترتب عليه أثر، أما إذا صدر من مؤمن فإن الأثر يترتب عليه ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُهِبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء الآية ٨٧] فندم يونس ﷺ مقرونا بذكر الله كان له الأثر في نجاته ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء الآية ٨٨] أما نحن فإذا أردنا أن تدوم علينا النعم الالهية وجب علينا شكر نعمه قال علي ﷺ:

(بالشكر تدوم النعم ، وبالكفر زوالها ، وخير القول أصدقه^(١)) ومن نتائج شكر الله ترتب الأثر الحسن في الدنيا والجزاء العظيم في الآخرة ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران الآية ١٤٥] ولو أن أصحاب البساتين الواردة قصصهم في القرآن ذكروا الله وشكروه لما عذبهم الله ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَاسَتْكُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء الآية ١٤٧] وهناك ترابط وثيق ثبته القرآن بين الشكر ودوام النعم ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم الآية ٧] وما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى شكرنا في مقابل نعمه علينا، وإذا أمرنا بالشكر فذاك لنستوجب نعمة أخرى ، وهي واحدة من المبادئ السامية في التربية المهم أن نعرف ما هي حقيقة الشكر لكي تتضح علاقته في زيادة النعمة من أين ؟ وكيف تستطيع أن تكون عاملا مهما للتربية ؟ إن حقيقة الشكر ليس فقط ما يقوله الإنسان (الحمد لله) أو الشكر اللفظي ، بل هناك ثلاث مراحل للشكر^(٢):

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ع) : محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني: (ص ١٥٠).

(٢) ينظر: الامثل في كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي: (٦/ ٤٩٠-٤٩٢).



الأولى : يجب أن نعلم من هو الواهب للنعم ؟ هذا العلم والإيمان الركن الأول للشكر .
والثانية : الشكر باللسان . والثالثة : وهي الأهم (الشكر العملي) ، أي أن نعلم الهدف من منحنا للنعمة ، وفي أي مورد نصرفها ، وإلا كفرنا بها ، كما وتوضح أيضا هذه العلاقة بين الشكر وزيادة النعمة ؛ لأن الناس لو صرفوا النعم الإلهية في هدفها الحقيقي ، فسوف يشتون عمليا استحقاقهم لها وتكون سببا في زيادة الفيوضات الإلهية عليهم ، أما التسبيح اللفظي فهل له ارتباط بالجزاء الحسن ؟ يمكننا أن نقول إن مجرد تسبيح اللسان فيه فوائد منها : أولا : هو باب من أبواب الهداية لأن الله تكفل لمن ذكره بالقرب منه والجزاء الحسن ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : (من تقرب إلى الله شبرا تقرب إليه ذراعا ، ومن تقرب إلى الله ذراعا تقرب إليه باعا ، ومن أقبل إلى الله ماشيا أقبل الله إليه مهرولا) ﴿قُلُوبًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصَّافَّاتِ الآية ١٤٣] فكون يونس عليه السلام من المسبحين كان له الأثر في نجاته ، الثاني : المكانة العالية والرفعة في الدنيا والاخرة جزاء لتسبيحهم فقد حصل آل البيت على هذه المنزلة لذكرهم الله وتسبيحه بكرة واصيلا ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النُّور الآية ٣٦] حيث ارتبط لديهم التسبيح بالعمل الصالح وهذا هو المرجو من أثر التسبيح على نفس الانسان وهذا هو الأصل في قبول الاذكار فقد أوصى رسول الله ﷺ عليا فقال : (يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة : المواساة للأخ في ماله ، وإنصاف الناس من نفسه ، وذكر الله على كل حال ، وليس هو : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عز وجل عنده وتركه) (١) كما أن باقي الاذكار مرتبط بشرط آخر غير العمل فقول كلمة التوحيد ربطها الامام الرضا عليه السلام بالولاية « إن الله سبحانه وتعالى يقول : لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني وجبت له الجنة ، ثم قال عليه السلام : بشرطها وشروطها وأنا من شروطها » (٢) وأمّا سبب ربط الامام قبول التوحيد بالولاية ، فقد أوضحته الزهراء في خطبتها الفدكية حيث قالت ﷺ (واطاعتنا نظاماً للملة ، وإمامتنا أماناً للفرقة) فأثار طاعة آل البيت تظهر واضحة في المجتمع وفسر قولها عليها السلام : إن إمامة أهل البيت عليهم السلام وقيادتهم لهذه الأمة مفروضا من الله سبحانه كسائر الواجبات ، وعلة هذا الفرض تتجلى

(١) مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي (٦/٦٠٠) .

(٢) تفسير الصراط المستقيم : السيد حسين طباطبائي البروجردي : (٣/١٢٨) .



أثاره في تخليص الأمة من شبح التمزق والانقسامات المصلحية^(١) وعلى هذا نستنتج أن اطالة اللحي والمداومة على الارتباط بالمسبحة ، ولقلقة اللسان بذكر الله والقرب من أهل الدين تتضح حقيقته عند الاختبار الرباني ، ولهذا لم ينتفع ابليس من كثرة عبادته كما لم تنتفع أمة النبي من وصاياه فقد أنقلبت على - أعقابها وابتعدت عن ذكر الله وتشريعاته ، وهنا يظهر أثر الذكر هل حقق الهدف المنشود منه أم لا .

أثر الظلم في هلاك الامم

الله سبحانه تعالى عادل لا يظلم مثقال حبة ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لُقْمَانَ الْآيَةِ ١٦] لذا لا يرضى سبحانه لعبادة الظلم ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفُقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ الْآيَةِ ١٣١] هذا بيان لعدله وتنزيهه عن الظلم ، حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم ، ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل ، ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين ، كما قال : (وما كان ربك ليهلك القرى بظلمٍ وأهلها مُصْلِحُونَ) فنص في قوله : « بظلم » أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه ، وأن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم^(٢) .

عمل المنافق وجزاؤه

عانى المجتمع الاسلامي من غدة سرطانية سامة ، كانت تقوم بكل الاعمال التي من شأنها النيل من تقدم المجتمع تلك الغدة هي مرض النفاق ، فالمنافق يعمل بالظاهر مع المسلمين وفي الباطن مع الشياطين لكن الله سبحانه كان يفضح أعمالهم دائما ومن الآيات التي تناولت ذلك ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيْبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التَّوْبَةُ الْآيَةِ ٤٢] حيث تحججوا بكل حجة للبقاء وعدم الخروج للقتال وأوضح القرآن أن الخروج للحرب له مقدمات يجب عملها من قبل المقاتل وهذا لم يتحقق لديهم

(١) الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان محمد: (ص ٥٠)

(٢) زبدة التفاسير: فتح الله بن شكر الله الكاشاني (١٨٢/٥ و ١٣١)



﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة الآية ٤٦] كما إن الله سبحانه لم يرد منهم الخروج للقتال مع المسلمين لما لذلك من آثار وخيمة على معنويات المسلمين ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة الآية ٤٦] أمّا الآثار الاخرى فهي ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعًا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة الآية ٤٧] ثم اخبرنا سبحانه ان هذا الصنف من الناس اتصف بنشر الفتنة ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة الآية ٤٨] أمّا الجزاء الالهي لهم فهو ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة الآية ٥٢] كما جزاهم سبحانه بعدم قبول صدقاتهم ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [التوبة الآية ٥٣] أمّا سبب ذلك فهو جزاء لاعتقاداتهم واعمالهم ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة الآية ٥٤] كما إن شيمتهم كانت الجبن ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَّوَلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْحَدُونَ﴾ [التوبة الآية ٥٧].

شمول بعض الحيوانات بالجزاء

قد يتعدى أثر عمل الانسان فيشمل الأثر و الجزاء الحيوان فقد تشرف الحوت بأن حوت أحشائه أطهر نبي في زمانه وقد شرف القرآن الهدهد بالذكر ، حيث ذكر سبحانه العقلية الراقية التي كان يملكها والتي كان من نتائجها دخول مملكة سبأ للدين الحق ، وكان هذا التشريف جزاء له ، كما ذكر القرآن بقرة بني اسرائيل التي شملها الجزاء فكان ذبحها لكشف الحقيقة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة الآية ٦٧] وكان عقر ناقة صالح عليه السلام أحد أهم الأسباب في نزول العذاب على قومه ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ [هود الآية ٦٥] وكان جزاء حمار عزيز الموت مائة عام ثم الحياة مجددا ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ



بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا حَمًا ﴿البقرة الآية ٢٥٩﴾ كما شمل سبحانه كلب أصحاب الكهف بالنوم للسنين طويلة وخلد ذكره في التاريخ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ [الكهف الآية ١٨].

الخاتمة

لمسنا من الآيات المباركة أن لكل عمل يعمل به الإنسان أثراً وجزاء يجازى عليه ، فما على الإنسان إلا النظر في ما حدث للأمم السابقة كي يتعظ من ذلك ، وقد يعتقد الإنسان أن معنى الحرية أن يفعل ما يريد ؛ نعم أعطى الله تعالى للإنسان حرية الاختيار شريطة أن لا يضر بنفسه ، أو مجتمعه ، فإذا تجاوز الحدود والشرائع ترتب على ذلك الجزاء المناسب ، وقد تلتزم بعض المجتمعات بالأنظمة والقوانين التي تلتقي مع اخلاقيات الدين من دون أن تكون تلك المجتمعات متدينة فتجازى بالحياة السعيدة في الدنيا دون الآخرة ، بقي أن نشير الى أن الطغاة والظالمين يسعون للقضاء على المؤمنين فيحوكون المؤامرات والفتن ويستعملون كل حيلة وخديعة ، ويعملون كل ما من شأنه للقضاء على الحق إلا أن الله تكفل بالقضاء على كل تلك الدسائس فلم يكن لأعمالهم أي أثر يذكر ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان الآية ٣٠] فارجع سبحانه كيدهم الى نحورهم لأنه مطلع على مكرهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال الآية ٣٠].

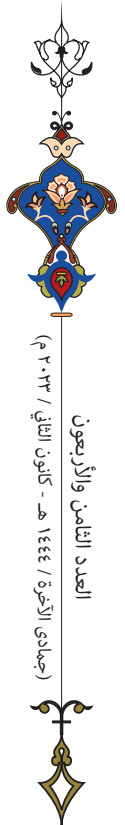
الاستنتاجات

بعد أن تشرنا بعرض الآيات المباركة وكشف المراد منها نخلص إلى بعض الاستنتاجات منها:

١ - يعتقد بعض الناس أن معنى العمل هو ما بذل فيه الجهد العضلي فقط ، وهذا غير صحيح ف(القول) من أشد الاعمال تأثير في الفرد والمجتمع لذا طلب القرآن منا ﴿وَقُولُوا

لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿النِّسَاء الآية ٨﴾ فكم من كلمة خرجت من أفواه البعض تسببت بآثار وخيمة وبجرائم بشعة في المجتمع .

٢- يكون أثر العمل نتيجة طبيعية للعمل الذي يقوم به الانسان ، فإذا قام الانسان بتلويث الأنهار والبحار ترتب على ذلك الأثر الطبيعي في تلوث الماء وموت الأحياء التي تحويها ، كما يترتب على الجور في قطع أشجار الغابات الى تغير في بيئتها ، أمّا إذا أسرف المزارع في اعطاء كمية كبيرة من الماء للنباتات فان موتها هو الأثر المتوقع لها ، وكذلك إذا زاد المصلي بعمل منافي للصلاة فإن بطلان الصلاة هو الأثر ؛ لذلك كل هذه الآثار ترتبت كأثر طبيعي لها دونما حاجة للتدخل الالهي لأن الله سبحانه وضع لكل سبب مسبب أمّا الجزاء الالهي فلا يحل بالأمم الا بعد كفرهم بالله والانبيا وارتكابهم المعاصي العظيمة ونزول الجزاء يكون في بعض الأوقات بطلب من الأنبياء عليهم السلام ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة الآية ٢١٤] او يكون بأمر من الله ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف الآية ١١٠] ﴿قَالُوا يَلْبُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾ [هود الآية ٨١] على الإنسان أن يسعى لكل عمل يعمله أثرا خاصا به يجازى عليه ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم الآية ٣٩] خصوصا وأن الوقت المخصص لكل فرد محدود ؛ لذا وجب عليه أن يكسب ما استطاع من أعمال وأن يسعى ليكسب الأعمال التي تدوم بعد رحيله من الحياة الدنيا فقد يرحل الانسان ويدوم ذكره ويبقى الأثر والبصمة السامية له في المجتمع جيلا بعد جيل كالأنبياء والاصياء والصالحين وكما بقي أثر العلماء الذين زينوا الحياة بالمبتكرات العلمية التي كان لها الأثر العظيم في اعمار الارض كالكهرباء والمكائن وغيرها ، وقد يخلف الانسان أثرا وذكرًا سيئًا يلعن به صباحا ومساء فقد ذم الله تعالى الطغاة والظلمة ، كفرعون وهامان وقارون وغيرهم على مر التاريخ .



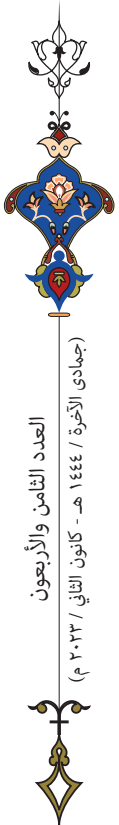
٣- أكد القرآن الكريم أنّ لكل عمل أثراً وجزاء يقع على:

أ- الفرد: قد يكون أثر العمل مختصاً بالفرد نفسه فإذا أساء الفرد نال العقوبة الدنيوية (الحدود والقصاص) ، فيعاقب ويجازى الانسان على جريمته كي تكون رادعاً له ولغيره ، ويسلم المجتمع من سيادة الفوضى وتعطيل القوانين ، أو يكون الأثر والجزاء عقوبة من الله تعالى تصيبه بنفسه فإذا قطع الانسان صلة الرحم نقص في عمره ويكون الأثر عكسي فإذا وصل أرحامه أو تصدق بصدقة فإنّ عمره يزداد أو يدفع عنه البلاء ، أمّا إذا ابتعد عن ذكر الله فقد تكفل سبحانه بأن تكون معيشته صعبة مضنكة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمًى﴾ [طه الآية ١٢٤]

ب- المجتمع: إنّ اتسعت الاعمال الطالحة وشملت الاسرة ، واتسعت فشملت المجتمع؛ فإنّ الجزاء يكون جماعياً حتى لو كان في ظهراينهم بعض المؤمنين ما داموا لم يؤدوا دورهم في المجتمع ، ويروي لنا القرآن نماذج عديدة من الأمم التي ارتكبت أعمالاً دينية فكان الجزاء من الله الاجتثاث الجماعي وبأقصى أنواع العذاب ملائمة للعمل الذي قاموا به.

ج- البيئة : للأعمال التي يقوم بها الانسان أثراً بالغاً فيما يحيط به ، فقد يكون للأعمال أثر في منع السماء من المطر وقد يكون الجزاء في تحويل البلدان المزدهرة بجمال شوارعها وارتفاع مبانيها الى ركام تفوح منه رائحة الجثث النتنة ، أو يكون الجزاء بإبدال البساتين العامرة بالخيرات الى أراضي جرداء كما حصل في بساتين سبأ وغيرها ، وقد تمتد أيادي الفساد والافساد لتتال البر والبحر فأسراف الانسان في تدمير الغابات ورمي النفايات في الانهار والبحار ، ومن أشكال الفساد تلك الحروب الطاحنة التي استعمل فيها الأسلحة الفتاكة ، أو شيوع الرذائل في المجتمعات فانعكس كل ذلك على بيئته فانتشرت الأمراض الخبيثة بين الناس وظهرت مشاكل عديدة كالانحباس الحراري وغيرها.

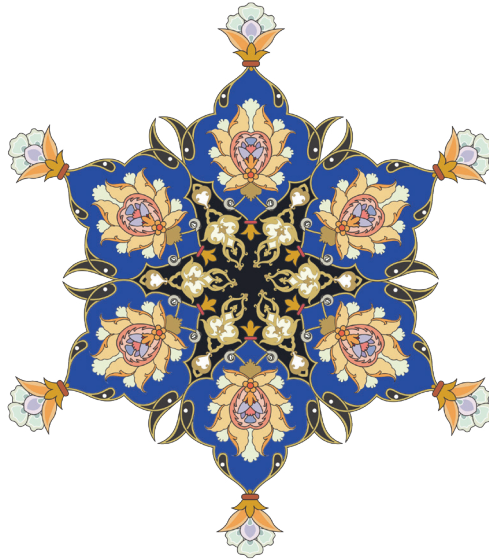
٤- إذا أصاب الناس شدة وضراء جزاء ما عملوه فان الله سبحانه تكفل بتغيير هذه الشدة الى رخاء اذا ما هم رجعوا الى الله ؛ لذا يجب على الناس إذا كانوا في رخاء ونعمة التوجه لله بالشكر ولا يبطروا في معيشتهم ، فإذا انحرفوا عن جادة الصواب حل بهم جزاء يلائم ما عملوه ، فهاهم قوم النبي يونس عليه السلام لم يؤمنوا برسالته فأوشك العذاب بالنزول فعادوا الى الله بقلوب صادقة فتغير جزاء العذاب بالرحمة وأعاد لهم نبيه ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ



مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَمَأْمُونُوا فَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ [الصَّافَّاتِ مِنَ الْآيَةِ ١٤٧ إِلَى الْآيَةِ ١٤٨].

٥- قد يكون هناك جزاء عسيب لأحاب الله المؤمنين فيحل البلاء والشدة والمرض بهم دون جرم ارتكبه ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء الآية ٨٣] أي أن هناك جزاء دون عمل فيتهمه الناس بأن ما حل به كان جراء عمل خبيث ارتكبه ، ولا يعرف هؤلاء أن الله إذا ما احب عبدا ابتلاه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ابْتَلَاهُ لِيَسْمَعَ صَوْتَهُ)

٦- الرضوخ للاختيار الالهي في قيادة الامة من أهم الأمور التي لها آثار عظيمة في المجتمع فقيادة المعصوم كفيلة بتحقيق العدالة الربانية ، وابعاد المجتمع عن التمزق والتشتت والتمذهب ، فعندما بذل المسلمون كل جهودهم لإبعاد أمير المؤمنين عن قيادة الأمة ، كان هذا التمزق الذي نشهده اليوم وقد يكون تسليط الحاكم الجائر عقابا من الله تعالى لظلم الناس وفسادهم البر والبحر .



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الاحتجاج: الشيخ احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي: دار النعمان للطباعة والنشر النجف الأشرف د ط ١٣٨٦ - ١٩٦٦.
٣. الامالي: الشيخ محمد بن احمد بن النعمان المفيد مؤسسة المراقدة المقدسة-النجف العراق الطبعة: الاولى ٢٠١٢.
٤. الامثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي مؤسسة الاعلمي بيروت- لبنان الطبعة: الاولى ١٤٢٨ - ٢٠٠٧.
٥. بحار الانوار: العلامة العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاق، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.
٦. البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الاولى، ١٩٨٨ م.
٧. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي دار الفكر لبنان - بيروت د ط.
٨. تاج العروس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، دار الهداية بيروت - لبنان د ط.
٩. تاريخ مدينة دمشق: ابو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان د ط.
١٠. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر - تونس د ط ١٩٨٤.
١١. تفسير الصراط المستقيم : السيد حسين طباطبائي البروجردي: تحقيق: غلام رضا البروجردي ، مؤسسة المعارف الإسلامية قم - ايران الطبعة : الأولى ١٤٢٢.



١٢. التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،
الفعالة مصر - القاهرة د ط.

١٣. تفسير العياشي: المحدث الجليل ابي النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمى
السمرقندي ، موقع كاسر الصنمين.

١٤. تهذيب الكمال: يوسف بن عبد الرحمن المزي تحقيق : مؤسسة الرسالة ، بيروت -
لبنان الطبعة: الرابعة ١٩٩٢ م.

١٥. الثاقب في المناقب : ابن حمزة عماد الدين ابي جعفر محمد بن علي تحقيق : نبيل رضا
علوان ، مؤسسة أنصاريان ايران - قم المقدسة الطبعة : الثانية ١٤١٢ .

١٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر - بيروت
- لبنان د ط ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

١٧. الجامع الكبير : أبو عيسى محمد بن عيسى ، الترمذي المحقق: بشار عواد معروف
د - ط.

١٨. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ع) : محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني
الشافعي تحقيق : محمد باقر المحمودي مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ايران - قم
الطبعة : الأولى ١٤١٦ .

١٩. الخرائج والجرائح: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي ، مؤسسة الإمام
المهدي ايران - قم المقدسة د ط ١٤٠٩ .

٢٠. روضة الواعظين: محمد بن فتال النيسابوري ، منشورات الشريف الرضي ايران -
قم المقدسة د ط.

٢١. زبدة التفاسير: الملا فتح الله بن شكر الله الكاشاني مؤسسة المعارف الإسلامية ،
قم - ايران الطبعة : الأولى - ١٤٢٣ .

٢٢. الزهراء فاطمة بنت محمد : عبد الزهراء عثمان محمد مؤسسة السبطين <http://www.sibtayn.com> .

٢٣. علل الشرائع : الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق، دار المتقين، بيروت - لبنان، د ط.

٢٤. الكافي: الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، الطبعة: الثالثة، ١٣٦٧.

٢٥. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٦. الكشاف :محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، لبنان - بيروت الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ.

٢٧. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين العاملي: منشورات مكتبة بصيرتي ، إيران - قم د ط ١٣٣١.

٢٨. المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة المعارف الإسلامية إيران - قم الطبعة: الاولى ١٤٢١.

٢٩. مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المحقق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٣٠. مجمع الزوائد: ابو الحسن نور الدين الهيثمي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان د ط ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م.

٣١. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، إيران - قم د ط ١٤١٩.

٣٢. مفاتيح الغيب: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي ، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة : الثانية ١٤٢٠ .

٣٣. موسوعة ويكيديا الحرة <https://ar.wikipedia.org/wik> / .

وَرَبِّكَ وَرَبِّكَ